٨٩٤٢
٨٦٤٢
١٦٩٥١

الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في آراء الاستاذ المطهري

حجة الاسلام الاستاذ السيد سعيد الأعرجي

باحث في الشؤون الاسلامية ـ العراق

مقدمة

ليس امراً هيّناً أن يتحدث المرء عن رسول الله محمد بن عبدالله صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين وصحبه المنتجبين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين، حيث يحار من أين يبدأ والى اين ينتهي مع سيد الخلق والذي خاطبه الجليل سبحانه وتعالى بكتابه العزيز بقوله ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾ [١] وقوله ﴿وما ارسلناك إلّا رحمه للعالمين﴾ [٢]، واكثر من هذا فان الله سبحانه يُقسِم بحياته الشريفه فيخاطبه بقوله ﴿لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون﴾ [٣] وطمأنه وسلّاه بقوله ﴿انا كفيناك المستهزيين﴾ [٤] وخطّ له الطريق واضحاً بقوله ﴿فتوكل على الله انك على الحق المبين﴾ [٥].

ثم اننا نجد ان الله سبحانه وتعالى قد خاطب انبياءه ورسله بأسمائهم مباشرة سيما انبياء اولي العزم وكذلك آدم عليه السلام أجمعين فقال تعالى مراراً (نوح، ابراهيم، موسى، عيسى)، نجد في القرآن الكريم مئات المرات تكررت اسماء الانبياء هؤلاء وغيرهم في حين اننا نرىٰ انه يخاطب الرسول محمداً صلى الله عليه وآله وسلم يخاطبه بـ يا ايها النبي، او يا ايها الرسول، او يا ايها المزمل، او يا ايها المدثر، وهكذا ولم يأت اسم النبي الصريح الشريف في القرآن سوى أربع مرات لا غير، تشريفاً لرسوله وحبّاً له واكباراً واعتزازاً به.

والآيات الكريمة التي ذكرته هي قوله تعالى ﴿وما محمد إلّا رسول قد خلت من قبله

الرسل ...﴾ [٦] وقوله تعالى ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله ...﴾ [٧] وقوله تعالى ﴿.. وآمنوا بما نزّل على محمد وهو الحق من ربهم ...﴾ [٨] وقوله تعالى ﴿محمد رسول الله والذين معه اشدّاء على الكفار رحماء بينهم﴾ [٩].

ومرّة واحدة باسمه الشريف (احمد) قال تعالى ﴿... ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد..﴾ [١٠].

وعن علي بن ابي طالب عليه السلام انه قال عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ولقد قرن الله به - صلى الله عليه وآله وسلم - من لدن ان كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم، ومحاسن اخلاق العالم، ليله ونهاره) [١١].

وعن الامام محمد بن علي الباقر (عليه السلام) - وهو بصدد الاشارة الى مسألة الاعداد الالهي الخاص لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل الدعوة - يقول:

(ووكل بمحمد ملكاً عظيماً منذ فُصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات، ومكارم الاخلاق، ويصدّه عن الشر ومساوئ الاخلاق) [١٢].

وعنوان بحثنا هذا هو الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في آراء الاستاذ مرتضى المطهري(رض) نستعرض فيه افكار وآراء الاستاذ المطهري في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): من هو رسول الله؟ كيف يتحدث المطهري عن رسول الله؟ ما هي خصال الرسول وما هي معاجزه؟

هل كان رسول الله يقرأ ويكتب ام لا؟ ولماذا؟

كيف كانت ارشادات الرسول؟ وكيف كان علاجه للمواقف؟

هل للمرأة دور واهميّة لدى رسول الله ام لا؟

ما هي شؤون الرسول وما هي تطلعاته؟

كيف كان الرسول يميّز بين الجهادين الاكبر والاصغر؟

ما هو الهدف من بعثه الرسول وكذلك الانبياء؟

كيف كان كمال الرسول؟ وكيف لطف الله سبحانه برسوله؟

ما هي مهام الرسول وما هو دوره؟

ما هو موقف الرسول في تجسيد أحاديثه عملياً؟

الرسول والقضاء والقدر،

اجتماع الاولياء والاعداء على عظمة الرسول

الرسوة قدوة واسوة

العزة عند الرسول باتباع الرسالة

كيف كان اسلوب رسول الله؟

كيف تكون اهداف الحياة محققة عند رسول الله؟

وفي الختام: ثمرة البحث

من هو الاستاذ مرتضى المطهري

ولد الاستاذ الشهيد مرتضى المطهري نَجل الشيخ محمدحسين المطهري في ١٣ جمادى الاولى ١٣٣٨ هـ. ق في قرية فريمان من قرىٰ محافظة خراسان، ابتدأ دراسته في مدرسة تلك القرية ثم انتقل الى مشهد وهو في دور الصبا عام ١٣٥٠ هـ. ق وعمره آنذاك إثنتا عشرة سنة، ودرس مقدمات العلوم الدينيّة من المنطق والفلسفة والحقوق والأدب العربي، ولم يكد يقضي خمس سنوات في مشهد حتى هجرها الى (الحوزة العلمية في قم) وفي نفسه شوق عظيم لكسب المعرفة الاسلامية وابتدأ هناك بالحضور في مجالس بحث الفقه والاصول على يد ثلاثة من كبار مدرسي الحوزة العلمية (آية الله السيد محمد المحقق وآية الله السيد محمد حجت) وفيما بين عامي ١٣٦١ و١٣٧٣ كان يواظب على حضور محاضرات الامام الخميني في يومي الخميس والجمعة من كل أسبوع في مواضيع الفلسفة والعرفان.

وقد كان مولعاً بحضور محاضرات الامام وقد عبّر عن شغفه بها بقوله: «اما درس الاخلاق الذي كنت احضره لدى الشخصيّة المحبوبة عندي يومي الخميس والجمعة فكان في الواقع درساً في المعارف الالهية ومنهجاً للسير والسلوك العرفاني، فكنت أتمتع به غاية التمتع، ولست مبالغاً اذا قلت ان هذا الدرس كان يطربني بحيث لم يزل تأثيره العميق

في روحي الى يومي الاثنين والثلاثاء من الاسبوع التالي، وكان للدروس التي تلقيتها من ذلك الاستاذ الالهي طيلة اثني عشر عاماً الاثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيتي الفكرية والنفسيّة. واني لاجد نفسي دائماً مديناً له بذلك، حقاً انه كان صنيعة الروح القدسية الالهية».[١٣]

وكان الاستاذ الى جانب حضوره مجالس بحث الامام الخميني وآية الله البروجردي والعلامة السيد محمدحسين الطباطبائي مشتغلاً بالتدريس وكان يُعد من المدرسين المشاهير في الحوزة، واشترك الاستاذ عام ١٣٧١هـ.ق في محضر بحث المرحوم الاستاذ العلامة الطباطبائي وقرأ لديه فلسفة ابن سينا.

عقد استاذه له مجلس درس خاص للتحقيق عن الفلسفة المادية فكانت ابحاثه حجر الاساس لتأليف كتاب (اصول فلسفة وروش رئاليسم) أي [اسس الفلسفة المادية].

كان له الدور المصيري في هذه السنوات العشرين في تفنيد أُسس الفلسفة المادية، ويُعد هذا الكتاب من أعمق وأدق آثار الاستاذ المطهري.

ثم هاجر من قم الى طهران عام ١٣٧٣ هـ. ق وتزوج كريمة احد مشاهير العلماء في خراسان. ومنذ بدء هجرته الى طهران ـ أي في نفس تلك السنة ـ عقد حوزة تدريس في مدرسة (مروي) واشتغل بتدريس الكتب الفلسفية المختلفة كشرح المنظومة والشفاء لابن سينا و(دانشنامه علائي) أي (رسالة علائي العلمية)، وفي عام ١٣٧٤ هـ.ق نشر اول مقالة مجلة (حكمت) أي (الحكمة) التي كانت تصدر في قم، كما اصدر الجزء الاول من كتاب (اسس الفلسفة المادية) الذي كان اصله للاستاذ المرحوم العلامة الطباطبائي وتوضيحه وتعاليقه المفصلة للاستاذ المطهري، وفي نفس العام أي ١٣٧٦ هـ. ق ارسلت اليه جامعة طهران ليقوم بالتدريس في كلية الالهيات والمعارف الاسلامية.

فأجاب الدعوة وقام بتدريس الفلسفة الاسلامية وغيرها من العلوم الاسلامية واستمر في تدريسه وابحاثه وتحقيقاته هناك الى سنة ١٣٩٨ هـ. ق.[١٤]

من جهاده السياسي:

كان لعلماء الدين دور بارز في قيادة الحركة الاسلامية، وكان بلا شك منطلق هذه الحركة من الحوزة العلمية في قم، وقد كان الامام الخميني (قدس سره) يقود هذه الحركة بمساعدة العلماء الآخرين.

وقد كان للشهيد دور في انتفاضة ١٥ خرداد عام ١٣٨٤ هـ. ق وقد القت السلطة القبض على عدد من العلماء المجاهدين كان بينهم الاستاذ المطهري حيث ظل في السجن ٤٣ يوماً، اطلق بعدها سراحه نتيجة الضغط الجماهيري المتواصل.

وبعد ابعاد الامام الخميني من ايران الى تركيا فالعراق عام ١٣٨٥هـ. ق تشكلت جمعية باسم (جمعية علماء الدين المجاهدين) وكان الشهيد من أبرز أعضائها، كما انه كان ممثل الامام في الحوزة العلمية في طهران، كما انه أوعز اليه قيادة الجمعيات الاسلامية وكان يقودها ويرعاها بصورة سرية، ولكن اغتيال منصور رئيس الوزراء آنذاك ادى الى القاء القبض على رؤساء هذه الجمعيات، مما ادى الى كشف الدور الذي كان يقوم به الشهيد المطهري في توجية وقيادة هذه الجمعيات لذا أصبح تحت مراقبة مكثفة وشديدة من قبل المخابرات الايرانية يومها.

وفي سنة ١٣٩٩ هـ. ق حيث ازداد لهيب الثورة الاسلامية اشتد نشاط الاستاذ المطهري، فكان الرابط بين جماعة علماء الدين المجاهدين والامام الخميني، وكان يدير ويوجه المسيرات والمظاهرات في ايران.

وبعد أن هاجر الامام الى باريس سافر الاستاذ الى هناك حيث التقى بالامام وتلقّى منه التوجيهات القيمة، واوعز اليه مسؤولية تشكيل مجلس قيادة الثورة الاسلامية.

شهادته المباركة:

شاءت ارادة الله ان تختم حياة هذا العالم الربّاني الجليل بالشهادة المقدسة المباركة ففي ٤ جمادى الآخرة ١٣٩٩ هـ. ق نال وسام الشهادة على يد فئة ضالة يغذيها أعداء الاسلام وسقط مضرّجاً بدمه الطاهر شاكياً الى ربه ظلم الطغاة وجورهم.

من نتاجات الاستاذ المطهري و آثاره المباركة

كان الاستاذ المطهري كاتباً بارعاً وخطيباً لامعاً واستاذاً جامعياً وحوزوياً وواعـظاً بليغاً وفيلسوفاً، وكانت له نتاجات قيّمة في جميع المجالات الاسلاميّة، فمن كتبه:

١ ـ الدوافع نحو المادية

٢ ـ الامدادات الغيبية في حياة البشر

٣ ـ الادارة والقيادة في الاسلام

٤ ـ نظام حقوق المرأة في الاسلام

٥ ـ مسألة الحجاب

٦ ـ العدل الالهي

٧ ـ في رحاب نهج البلاغة

٨ ـ الانسان والمصير

٩ ـ خاتم الانبياء

١٠ ـ الحركات الاسلامية في القرن الاخير

١١ ـ التكامل الاجتماعي في الاسلام

١٢ ـ قصص اهل الحق (جزءان)

١٣ ـ اصول الفلسفة (٥ مجلدات)

١٤ ـ المجتمع والتأريخ

١٥ ـ الحياة الخالدة أو الدار الآخرة

١٦ ـ المقالات الفلسفية

١٧ ـ الاقتصاد الاسلامي

١٨ ـ فلسفة التاريخ [١٥]

١٩ ـ اسباب التمايل نحو المادية

٢٠ ـ المادية في ايران، وله اسم آخر هو (المقال الذي سطر بالدم)

٢١ ـ لن تغرب شمس هذا الدين

٢٢ ـ الرشد الاسلامي

٢٣ ـ السلوك الجنسي في الاسلام والغرب

٢٤ ـ الخدمات المتبادلة بين الاسلام وايران، ج ١، ج ٢ (جزءان)

٢٥ ـ جذب الامام علي (عليه السلام) ودفعه

٢٦ ـ ثورة الامام المهدي (عليه السلام) من وجهة نظر الفلسفة والتاريخ

٢٧ ـ الولاء والولاية

٢٨ ـ النبي الامي

٢٩ ـ احراق الكتب في ايران ومصر

٣٠ ـ الانسان والايمان

٣١ ـ تفسير الكون

٣٢ ـ الوحي والنبوة

٣٣ ـ عشرون مقالة

٣٤ ـ عشرة مقالات

٣٥ ـ التحصيل[١٦]

وله كتب غير منشورة ومقالات عديدة تركنا ذكرها خشية الاطالة وللاختصار.

كيف تحدث الاستاذ مطهري عن رسول الله

لقد امتاز الاستاذ المطهري بسلاسة التعبير وجزالة الالفاظ بلا تكلف، ومن اطلع على اسلوبه فإنه يجده رقراقاً عذبا حيث ينفذ الى القلوب بدون استئذان كما انه لا يطيل كثيراً ولا يطنب كالباقين فكل كلمة يقولها في موضعها، كما انه دائماً يأتي بالجديد المفيد وينقل القارئ الى الجانب الميداني والعملي من حيث يعلم او لا يعلم ويضع المكلف أمام تكليفه الشرعي ويقارنه بما جرى على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وما قدّمه الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من التضحيات الجسام برسوخ فكري وثبات عقائدي فلنستمع اليه من خلال ما سطره بدمه الطاهر وهو يؤمن بما يقول ويعمل ويطبق قبل ان يقول، فقد حدثنا في كتابه

الموسوم بـ(الوحي والنبوة) ان رسول الله (ﷺ) قد ختمت به النبوة سنة ٥٧٠ للميلاد عاش يتيماً بعد ان مات ابوه في المدينة في سفر تجارة الى الشام وهو في رحم امه وتعهد جده عبدالمطلب بكفالته، وكانت آثار العظمة وخرق العادة تظهر على وجهه ومن سلوكه وقوله منذ الطفولة، وقد ادرك عبدالمطلب بفراسته ان لحفيده مستقبلاً زاهراً، وكان في الثامنة من عمره عندما قضى جده عبدالمطلب، وتكفله عمه الكبير ابوطالب وفقاً لوصية جده، وكان يستغرب ابوطالب ايضاً من سلوك هذا الطفل الذي لم يشبه سائر الاطفال، ولم يشاهد ابداً كسائر الاطفال الذين في عمره انه يحرص على الطعام او يُبدي له رغبة، كان يكتفي بطعام قليل، ويمتنع من الزيادة خلافاً للاطفال الذين هم في سنِّه، وخلافاً للتربية والعادة في ذلك العصر كان يمشط شعره ويحافظ على نظافة رأسه ووجهه.

اراد ابوطالب منه ذات يوم ان ينزع ثيابه بحضرته ويذهب الى فراشه، فتلقى هذا الامر منه بكراهية، ولما كان لا يرغب في التمرد على عمه قال له: أدر بوجهك لأتمكن من نزع ثوبي. فتعجب ابوطالب من كلام الطفل هذا، لان العرب في ذلك العصر كانوا ـ حتى كبارهم ـ لا يتمنَّعون من تعرّي أعضاء الجسم.

يقول ابوطالب (لم اسمع منه كذبه ابداً، ولم أر منه عملاً منافياً أو ضحكاً تافهاً، لم يرغب في العاب الأطفال، وكان يحب الوحدة والخلوة، وكان متواضعاً في كل حال).

وكان يكره البطالة ويقول اللهم اني اعوذ بك من الكسل والكلل، ومن الضعف والعجز والخنوع) وكان يقول (للعبادة سبعون جزءاً أفضلها الكسب الحلال ...).

كان أميناً حتى لقب بالصادق الامين او بـ (محمد الامين) وكانوا يسلّمون الامانات بيده، ولذا بقي علي عليه السلام بعد هجرته الى المدينة أياماً ليؤدي الامانات الى أهلها.

وكان مكافحاً للظلم في الجاهلية حتى تحالف مع جماعة كانوا يرفضون الظلم وشكلوا حلفاً وعقد هذا الحلف في دار عبدالله بن جدعان وهو من شخصيات مكة البارزين وسمي بـ (حلف الفضول)، كان شفيقاً في عائلته، ولم يبد عنفاً بالنسبة لازواجه أبداً، وهذا مخالف لاعراف من كان يعيش في وسطهم. كان عطوفاً على اولاده واسباطه، وكان يعطف على اولاد المسلمين، كان رؤوفاً بالارقّاء ويقول للناس: هؤلاء اخوانكم

أطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تحمّلوهم ما لا طاقة لهم به، وساعدوهم في اعمالهم ولا تخاطبوهم باسم [الرق] أو العبد لاننا جميعاً عبيد الله والمالك الحقيقي هو الله بل نادوهم باسم (الفتى) أو (الفتاة).

ما سبقه بالسلام احد قط، كان يسلم على الارقاء والاطفال سمحاً عفواً فيما يتعلق بحقه فاذا عُصي الله تغيّر لونه. كانت عبادته متواصله ليلاً ونهاراً، وصيامه كثيراً اضافة الى شهر رمضان ويعتكف في المسجد ويتعبد، زاهداً بسيطاً في طعامه وشرابه ولباسه، وفراشه الحصير.

لم يستبد برأيه مع علمه بأن أمره كان نافذاً بين أصحابه حتى قال تعالى ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين﴾[١٧].

كان النظم والانتظام يسود أعماله، وقد قام بتقسيم اوقاته على أتم صورة، وأوصى بذلك، كان كتوماً كي لايطلع عليه العدو، أو يطلع عليه من يفسد امره، فهو يرغب في انجاز العمل متقناً الى درجة عالية جداً وكان يوصي بذلك.

ولم يستغل نقاط ضعف الناس وجهلهم، بل على العكس كان يعالجها ويوقف الناس على جهلهم.

كان يعيش القيادة الحكيمة مع القدرة على التمييز، والحزم، والعزم، وعدم التردد والشهامة والشجاعة والتنبؤ، والنظر الى عواقب الأمور ببصيرة نافذة ومعرفة اصحابه فرداً فرداً وقدراتهم.

كان سمحاً في تبليغ الرسالة ويعتمد غالباً على التبشير والتأميل اكثر من التخويف والتهويل والتهديد، اوصى بعض اصحابه حين ارسله الى اليمن قائلاً له (يسِّر ولا تعسِّر، وبشِّر ولا تنفِّر).

كان يشجع على طلب العلم وتعلم القراءة والكتابة، حرَّض اطفال اصحابه على التعلم، وأمر بعض أصحابه أن يتعلموا اللغة السريانية وكان يقول (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وقال أيضاً (اطلبوا العلم ولو بالصين). فطبعه وخلقه مثل كلامه ودينه

جامعاً شاملاً، لم يذكر التأريخ نظيراً لشخصيته بحيث يكون في حد الكمال في جميع جوانبه الانسانية، فقد كان الانسان الكامل حقاً.[۱۸]

هذا رسول الله (ﷺ) على لسان الاستاذ المطهري يتناول زبدة من حياته وعصارة من تجاربه ليحولها الى حياة للآخرين يعالجون فيها آلامهم، ويكشفون بها كربهم ويزيلون فيها حزنهم، ويبشّرون أنفسهم بالنعيم الخالد والسعادة الدائمة.

معجزة الخاتمية

ان القرآن الكريم معجزة خاتم الانبياء، والانبياء السابقون كابراهيم وموسى وعيسى كانت لهم معاجز، وكان مجال اعجازهم شيء آخر غير كتبهم السماوية، من قبيل تبديل النار المحرقة الى برد وسلام أو تحويل العصا اليابسة الى افعى، او احياء الاموات، ومن الواضح ان هذه المعاجز كانت آنيّة مؤقتة سرعان ما تنتهي وينتهي أثرها ولمن شهدها ولكن معجزة خاتم الانبياء كانت هي (القرآن الكريم) كان في آن واحد كتاباً وبرهاناً لرسالته، بهذا الدليل كانت معجزة الخاتميّة بعكس المعاجز الاخرىٰ خالدة وباقية وليست مؤقتة سريعة المرور.

وكون معجزة خاتم الانبياء من نوع الكتاب امر كان يتناسب مع عصره الذي كان عصر علم ومدنية وثقافة وشعر وادب ونثر ومعلّقات وهذه تساعد على اكتشاف جوانب من اعجاز القرآن الكريم، كما ان خلوده يتناسب مع خلود رسالته التي تبقى الى يوم القيامة قال تعالى ﴿ واُحي اليّ هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ﴾[۱۹]، هذا الكتاب لا يقبل النسخ والتبديل، كما أعلن بصراحة عن جانبه الاعجازي الخارق في عدد من الآيات قال تعالى ﴿ وان كنتم في ريب مما نزّلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله..﴾[۲۰] ثم ان القرآن تحدّى الثقلين الانس الجن على ان يأتوا بمثله قال تعالى ﴿قل لئن اجتمعت الانسُ والجنُّ على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾[۲۱].

لقد ذهب بعض المستشرقين واستناداً الى بعض الآيات القرآنية التي وردت على لسان المشركين في مطالبتهم بالمعجزات ان نبي الاسلام محمداً (ﷺ) كان يقول

للناس «ليس لي معجزة غير القرآن، فإن قبلتم القرآن باعتباره معجزة فبها والا فاني غير قادر على معجزة أُخرى».

وقد تأثر بعض الكتّاب المسلمين للاسف بهذا الرأي وقدّم تبريراً هزيلاً كون المعجزة دليلاً، ولكنها دليل اقناعي ليس لكل انسان بل للانسان غير الناضج الذي يبحث عن الامور الخارقة والعجيبة، اما الانسان الناضج فانه لايهتم بمثل هذه الامور على الاطلاق واهتمامه بالامور المنطقية والعقلائية فحسب.

ولما كان عهد رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) عهد معرفة وعقل وتعقّل لاعهد خرافات خيالات، فانه قد امتنع باذن الله سبحانه عن الاستجابة لطلب معجزات اضافية سوى القرآن الكريم.

فان هؤلاء يقولون ان الاستعانة بالمعجزة وخرق العادات كانت لابد منها ان تجري على يد الانبياء، ولأن هدايتهم بمساعدة الاستدلال العقلي كان صعباً مستصعباً وأمراً لا يطاق، في حين ان عصر الرسول والرسالة كان عصراً على سلّم النضوج العقلي والفكري.

ولم يكن امتناع الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من الاتيان بالمعجزات وخرق العادات في مقابل اصرار الجاحدين والمنكرين بعيداً عن الحكمة والبرهان وكان يستدل بأحقيّة رسالته على الدليل العقلي والتجريبي وعلى الشواهد والآثار التأريخية.

ومع وجود كل ذلك العناد والاصرار وحتى اللجاجة من جانب المنكرين كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمتنع بأمر من الله سبحانه، من الاتيان بالمعاجز كمعاجز السابقين من الرسل والانبياء، وكان يعتمد القرآن فحسب باعتباره المعجزة التي لا نظير لها.

والقرآن باعتباره يحتوي على كل شيء قال تعالى ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾[٢٢] وقال تعالى ﴿.. ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء ... ﴾[٢٣].

هؤلاء يقولون: ان الانسان القديم ـ أي قبل بعثه الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ـ كان يعيش الخرافات والاوهام ولم يؤثر في عاطفته سوى ما كان مخالفاً للعقل والحس. ولذا نجد ان البشرية تبحث في التاريخ عن الاعجاز وتعشق الغيب وتشتد أمام اللامعقول والغير المألوف، ويقولون من هنا نجد ان الانبياء ليسوا وحدهم بل ان الملوك والحكام في

كل قوم يتذرعون بخوارق العادات لدعم حجتهم وثبات مركزهم، ومعجزة محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) القرآن تعد من اسمى القابليات البشرية ويمكن الاستفادة منها كأرقى خطة للانسان، حيث هي في متناول يده في كل زمان ومكان، دائماً وابداً.

ويحاول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان يلفت تساؤلات البشر عن الامور الغير الاعتيادية من قبيل الكرامات والخوارق الى المواضيع العقلانية والعلمية ويوجههم الى واقعهم اليومي، ولم تكن هذه الخطوة بالامر السهل والهين، بل كانت بمشقة وعناء.

كانوا يسألونه إن كنت نبيّاً فأخبرنا بسعر السوق، هل ترتفع أسعار البضائع الفلانية ام العكس؟ هل ستفقد السلعة الفلانية من السوق أم تكثر؟ كيف حال تجارتنا العام القادم؟

كلها اطماع ومنافع وانانيات ضيّقة.

فيجيبهم القرآن الكريم ﴿قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرّاً الا ماشاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير وبشير لقوم يؤمنون﴾ [٢٤]، ولكن الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان يتحدث لهم عن الغيب في كل يوم، ولا يتكلم مع الجن أو أرواح من سبق، ولا تبدو الكرامات والمعاجز منه كل يوم، لذا لا يروق لهؤلاء ولاطماعهم ومنافعهم الدنيوية.

كان يدعوهم الى التفكر والتدبر، الى العمل والصدق والاخلاص، الى الخير والعطاء والكرامة، الى العزة والشجاعة والايثار، ولكنهم ما كانوا يفهمون شيئاً إلّا من شذّ منهم وندر. ويقول سبحانه على لسان رسوله ﴿سبحان ربي هل كنت الا بشراً رسولاً﴾ [٢٥].

ولو تسلسلنا في الآيات المباركات لوجدنا مايلي: قال تعالى ﴿وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجّر لنا من الارض يَنبوعا * أو تكون لك جنّة من نخيل وعنبٍ فتفجر الأنهار خلالها تفجيرا * أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا * أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيّك حتى تنزّل علينا كتاباً نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت إلّا بشراً رسولاً﴾ [٢٦].

لو سألنا الاستاذ المطهري ماذا تقول لهؤلاء من المستشرقين أو من الكتّاب المسلمين؟ بماذا تجيبهم؟ هل كلامهم كله صواب ام لا؟ ما رأيك؟ لأجابنا الاستاذ بما

يلي: لاتتمكن من الموافقة على كل هذه النظريات، وما يمكن بحثه في رأينا بعض المواضيع ذكروها نلخصها بثلاث نقاط اساسية هي:

١ ـ ان نَبي الاسلام لم تكن له معجزة غير القرآن، وكان يمتنع أمام طلب الاتيان بمعجزة غير القرآن وأن آيات سورة الاسراء لهي الدليل على ذلك.

٢ ـ ما هي قيمة الاعجاز وما هو شعاعه؟ وهل ان الاعجاز والأمر الخارق كان شيئاً يتناسب ودور طفولة البشر عندما لم يكن العقل والمنطق مؤثراً؟ وكل شخص حتى الحكماء والملوك كانوا يبررون لأنفسهم بهذه الأمور. والانبياء أيضاً كانوا مضطرين لتبرير أنفسهم واقناع الناس بمثل هذه الامور، ونبي الاسلام الذي كانت معجزته الكتاب غير مستثنى عن هذه القاعدة. وقد برّأ نفسه بالكتاب وفي الحقيقة بالعقل والمنطق.

٣ ـ يحاول نَبي الاسلام أن يلفت نظر الناس من الأمور العادية والكرامات والخوارق الى القضايا العقلية والمنطقية. وان يدير حساسيتهم من (العجائب والغرائب) الى (الوقائع الحقايق)، والآن نبحث ونتحقق حول المواضيع الثلاثة ونبحثها على التوالي وهي:

اولاً: هل أن نبي الاسلام لم تكن له معجزة غير القرآن؟ والجواب ان هذا الموضوع بغض النظر عن انه غير مقبول من ناحية التأريخ والسنّة والحديث المتواتر مخالف لنص القرآن الكريم وقد جاء انشقاق القمر في القرآن نفسه، وقصة المعراج وسورة الاسراء قال تعالى ﴿سبحان الذي اسرىٰ بعبده ليلاً من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا﴾[٢٧] ألم يكن هذا خرقاً للعادة ومعجزة.

وجاء في سورة التحريم المباركة قصة ايداع النبي بعض ازواجه حديثاً وإفشاء تلك المرأة الحديث الى امرأة اخرى قال تعالى ﴿واذ أسرّ النبي الى بعض ازواجه حديثاً فلما نبأت به وأظهره الله عليه عرّف بعضه وأعرض عن بعض فلما نبأها به قالت من انبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾[٢٨].

ان الآيات ٩٠-٩٣ من سورة الاسراء وآيات أُخرى من هذا القبيل التي استندوا عليها هي شيء آخر. لم يكن هناك موضوع طلب المعجزة بمعنىٰ (الآية) و(البيّنة) من قبل أُناس كانوا في شك واقعاً ويبحثون عن الدليل والبرهان.

ان هذه الآيات والآية الخمسين من سورة العنكبوت تبيّن بوضوح منطق المشركين الخاص في طلب المعجزة ومنطق القرآن الخاص في فلسفة معاجز الانبياء.

في قوله تعالى من سورة الاسراء الآيات ٩٠-٩٣ ﴿لن نؤمن لك حتى تفجر...﴾ أي لن نؤمن لاجل فائدتك وصالحك وندخل في جماعتك حتى تفيدنا مقابل ذلك وتجري لنا الماء في هذه الارض القاحلة ـ فهي معاملة بشرط ـ، أو تكون له وبالتالي لنا جنّة تجري من تحتها الانهار مليئة بالاشجار والثمار، أو يكون للرسول بيت من ذهب (بحيث نستفيد نحن ايضاً منه) فهي معامله أُخرى، أو تسقط علينا قطعة من السماء (كما تظن ان هذا سيحدث يوم القيامة) أي العذاب ونهاية المطاف لا المعجزة.

أو تجيئ بالله والملائكة الينا، أو تصعد الى السماء وتنزل الينا وباسمنا كتاباً يضم أمجادنا فهي معاملة أيضاً ولكنها ليست معاملة مالية بل فخرية واعتبارية دون الانتباه الى استحالة الموضوع.

لم يقل المشركون [لن نؤمن بك] بل قالوا [لن نؤمن لك] أي لا نلتحق بجماعتك لصالحك، أي انه تصديق منفعي مصلحي بيع وشراء بالعقيدة وفرق بين (آمن به) و(آمن له).

وقد استنبط علماء اصول الفقه هذه النكتة الظريفة في مورد الآية ٦١ من سورة التوبة التي تصف رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حال كونه (يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين) وقد طلبت قريش مقابل تأييدها المصلحي ما جاء بتعبيرهم (.. تفجر لنا من الارض ينبوعا).

ومن الواضح ان القضية (اجراء الماء) وليس (طلب معجزة) فان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) قد جاء ليخلق مؤمناً واقعياً لا انه يشتري الاصوات والعقيدة بثمن المعجزة.

والكاتب المستشرق أو المسلم عليه ان يقول أنهم كانوا يقولون للنبي: أخبرنا عن أسعار البضائع لنربح في تجارتنا ان كنت نبيّاً، وواضح ان طلب المعجزة أي (البيّنة) لم يكن لكشف الحقيقة، ولكن لجعل النبي أداة للحصول على المال.

و من البديهي كانت اجابة النبي: لو كان الله يطلعني على الغيب (لمثل هذه الامور) لاستفدت منها لصالح أُموري الدنيويّة، ولكن المعجزة والغيب لم تكن لمثل هذه الامور

﴿.. إن أنا إلّا نذير وبشير..﴾ [٢٩].

كان المشركون يظنون ان المعجزة بيد النبي، يقوم بها متى شاء وكيفما شاء، ولأي سبب او غرض شاء، كانوا خاطئين، صحيح انها تجري على يد النبي ولكنها بإذن الله، قال تعالى ﴿إنّما الآيات عند الله وإنّما أنا نذير مبين﴾ [٣٠].

والاخبار عن الغيب كمعجز هو من هذا النوع والى الحد الذي يتعلق بالنبي فهو لا علم له بالغيب ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول لكم اني ملك﴾ [٣١]، ولكن عندما يتأثر بالغيب يخبر عن السر الخفي، وعندما يسأل من اين علمت؟ يقول ﴿نبأني العليم الخبير﴾ [٣٢].

وبهذا يحطم منطق المشركين من ان علمي بالغيب هو في حد المعجزة ولغرض خاص، وعن طريق الوحي الالهي، ولو كان وسيلة لملء الجيب لكنت أملأ جيبي بدلاً من أن أُخبركم بالاسعار لتمتلئ جيوبكم. [٣٣]

يقول الاستاذ المطهري: (انني أعترف بأن رغبة العوام تتجه دائماً نحو قيام المعجزة لا للنبي والامام فحسب، بل لكل قبر وحجر وشجر، ولكن هل يوجب هذا أن ننكر صدور كل معجزة وكرامة (غير القرآن) عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)؟) [٣٤].

ثانياً: ما هي قيمة الاعجاز وما هو شعاعه؟

ما هو مقدار قيمة الاعجاز وما مداه؟ يجيبنا الاستاذ المطهري قائلاً: لقد قسّم المناطقة والفلاسفة المواد المستخدمة في الاستدلال من حيث القيمة ومدى نفوذها الى عدة انواع. فللبعض منها عناصر قيّمة برهانية لاتدع مجالاً للترديد العلمي والعقلي كالعناصر التي يستخدمها الرياضي في استدلالاته، والبعض الآخر لها قيمة اقناعية، كالمواد والعناصر التي يستخدمها الخطباء، غالباً في اقوالهم، بحيث لو دقق فيها ربما كانت مجالاً للشك، ولكنها لا زالت لم تدقق، حيث توجد حركة بصورة عملية، والبعض منها له قيمة ثورية وعاطفية وآخر قيمة اخرى.

ان القرآن الكريم يذكر معاجز الانبياء باعتبارها آيات بيّنات ويعتبرها الدليل القاطع والحجة المنطقية والعقلية المسلمة على صدق من يأتون بها كما يعتبر آثار الخلقة (آيات

الله) دليلاً قاطعاً لايقبل الشك على وجوده.

كما بحث القرآن المعجزة مفصّلاً واعتبر طلب الناس من الرسل والانبياء الذين لم يسلموا دون آية أو بينة طلباً معقولاً ومنطقياً. وذكر بالتفصيل استجابة الانبياء والرسل لهذه الطلبات في الحد المعقول والمنطقي بحيث يكون شاهداً ودليلاً على صدق دعواهم لا في حدود الاقتراح والمزاج ومشتهيات الناس الذين يريدون تسخير معاجز الرسل الى مصالحهم أو للتلذذ والتفرج، وقد خصص القرآن العديد من الآيات لهذا الغرض.

كما ان القرآن لا يشير من قريب ولا من بعيد الى ان المعجزة دليل اقناعي لأذهان السُّذج والعوام.[٣٥]

وان الكثير بل معظم من شهد معاجز الانبياء لم يؤمن بها ولا بتأثيرها؛ فمن رأى تحول العصا الى أفعى ما آمن بها سوى السحرة. ولما شقّ البحر لموسى (عليه السلام) فان فرعون وجنده تبعوهم لقتلهم، وان من رأى عيسى يُحيي الموتى ويصنع من الطين كهيئة الطير من آمن من هؤلاء؟ بل جهدوا على تصفيته جسدياً ورسالياً حسب ظنهم، وارادوا قتله ولكن الله رفعه.

ثالثاً: دون ادنى شك ان المعجزة الرئيسية والخالدة لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) هي ـ القرآن الكريم ـ الذي لا تنقضي عجائبه ولا تنتهي غرائبه بل تتكشف معاجزه بمرور الزمن اكثر فأكثر، ويوماً بعد آخر.

والقرآن يدعو منذ نزوله المبارك الى دراسته والى دراسة عالم الطبيعة والشهادة وتحكيم العقل في كل شيء، والخطاب دائماً لأُولي الالباب ولاصحاب العقول، واذا كان القرآن قد دعى الى دراسة الطبيعة فليس معناه الانصراف عن كل شيء غير ذلك أو غير طبيعي.

بل العكس فان الدراسة الخاصة بالطبيعة تدفع صاحبها تلقائياً ان ينتقل الى دراسة ماوراء الطبيعة، وفي نظر القرآن يكون الاجتياز الى الغيب من الشهادة، والى ماوراء الطبيعة من الطبيعة، وتكمن أهمية عمل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فإنه كما يدعو الى النظر في الطبيعة و التأريخ والمجتمع ـ ويجعل الناس الذين لا يسلِّمون إلّا أمام كل ما هو غير

طبيعي ـ يسلِّمون للعقل والمنطق والعلم، يحاول ان يعرف فكرة الناس الذين يتفوهون بالعقل والمنطق، ولا يخضعون الى ما هو غير طبيعي ومحسوس على منطق أعلى وأسمى.

ان الميزة العلمية الاساسية التي يعرضها الدين بصورة عامة والاسلام بصورة خاصة عن العالم الذي يعرض العلوم والفلسفات البشرية المحضة، على حد تعبير (ويليم جيمس) ان في جهاز عالم الدين عناصر بالاضافة الى العناصر المادية، وفيه قوانين بالاضافة الى القوانين البشرية المعروفة.

فان القرآن الكريم لايريد ان يحل الاهتمام بالطبيعة والمحسوسات محل الاهتمام بماوراء الطبيعة وغير المحسوسات. واهمية القرآن في انه جعل الايمان بالغيب عنواناً لدعوته بنفس الوقت الذي جعل فيه الاهتمام بالطبيعة وبتعبير القرآن نفسه «الشهادة» قال تعالى ﴿الم * ذلك الكتاب لاريب فيه هدى للمتقين * الذين يؤمنون بالغيب﴾[٣٦].

فكيف يمكن ان يكون القرآن في صدد الفات نظر الناس عن الاهتمام بتلك الامور بينما هو نفسه من تلك المقولة (العجائب والغرائب) أي انه معجزة بالاضافة الى انه جاء بأكثر من مائة آية في تلك المقولة؟[٣٧]

النبي الامي

هل كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقرأ ويكتب أم لا؟

لقد اشار القرآن الكريم الى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان اميّاً فما معنى انه كان اميّاً:

١ ـ هل كان لايقرأ ولا يكتب؟ أم يقرأ ولا يكتب؟ أم كان لايقرأ ولايكتب قبل البعثة ثم قرأ وكتب بعد البعثة؟

٢ ـ أم انه كان من أُمِّ القرى أي مكة المكرمة واسمها ام القرى؟

٣ ـ أم ان مشركي مكة يسمّون بالاميين فجاء رسول الله فيهم كما ورد عن عبدالله بن عباس رضي الله عنه.

الاستاذ المطهري يذهب الى ان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان أُميّاً بمعنى لايقرأ ولا يكتب

وهذه الصفة ليست نقصاً أو انتقاصاً لشخصه الكريم وانما هي صفة كمال، ويستدل بالقرآن الكريم في آيات باهرات تثبت ان رسول الله (ﷺ) كان لا يقرأ ولا يكتب كما ان أُستاذنا المطهري يورد الكثير من الشبهات المثارة ويرد عليها واحدة تلو الاخرى كما جاء في كتابه الموسوم (النبي الامي) وكذلك في كتابه خاتم الانبياء، المجلد الثاني الذي تضمن (النبي الامي).

يذكر لنا الاستاذ المطهري انَّ الرسول الاعظم لم يقرأ ولم يكتب فيقول: ان من الامور الواضحة في حياة الرسول الاكرم (ﷺ) انه لم يتعلم ولم يتتلمذ على احد، ولم يطّلع على مقال أو كتاب، ولم يدّع له ذلك أي مؤرخ سواء كان مسلماً او غير مسلم لا في دور طفولته او شبابه ولا في دور كهولته أو حتى نهاية عمره الشريف.

كما انه لم يذكر أحد او يعرض سنداً يوضح انه قد قرأ سطراً واحداً او كتب كلمة واحدة قبل عصر البعثة، لقد كان العرب عامة وعرب الحجاز خاصة اناساً أُميين، وكان الذين يستطيعون القراءة والكتابة يُعدّون بالاصابع، فلايمكن ان نتصور وجود شخص يتقن القراءة والكتابة في هذه البيئة ان يُخفي نفسه لمعرفته او لا يُعرف عنه ذلك.

ونحن نعلم ان معارضي الرسول (ﷺ) قد اتهموه آنذاك بالاستماع الى الآخرين ونقل تعاليمه منهم. ولكنهم لم يقولوا مطلقاً بأنه كان يعرف القراءة والكتابة، فهو مثلاً يحتفظ بمصادر أو كتب يستلّ منها ما يريد من معارف او مواضيع يستفيد منها. وهو اتهام قريب تصوره لو كان الرسول(ﷺ) يلمّ ادنى الملم بالقراءة والكتابة.

وقد اعترف المستشرقون الذين ينظرون بعين النقد الدقيق للتأريخ الاسلامي اعترفوا بأن الرسول(ﷺ) لم يكن يقرأ أو يكتب وهذا (كادليل) يقول في كتابه (الابطال) «يجب أن لا ننسى شيئاً وهو ان محمداً لم يتلقّ أي تعليم لدى أي معلم، فقد كانت صناعة الخط قد وجدت حديثاً بين الشعب العربي.

أعتقد أن الحقيقة هي أن محمداً لم يكن يعرف الخط والقراءة ولم يكن يعرف إلّا حياة الصحراء.»

ويقول ويل ديورانت في كتابه «قصة الحضارة»:

«الظاهر انه لم يكن احد يفكر في تعليمه (أي تعليم الرسول الاكرم) القراءة والكتابة. فلم تكن صناعة الكتابة والقراءة ذات أهمية في نظر الأعراب ولهذا لم يكن يتجاوز الذين يعرفون القراءة والكتابة السبعة عشر شخصاً. ولسنا نعلم ان محمداً قد كتب شيئاً بنفسه.

لقد كان له كاتب خاص بعد النبوة ومع ذلك فقد جرى على لسانه أعرف الكتب العربية وأشهرها، وقد عرف دقائق الامور أفضل بكثير من المتعلمين»[٣٨].

ومن الأدلّة الواضحة على ان الرسول الاعظم(صلى الله عليه وآله وسلم) ما كان يقرأ ولا يكتب يذكر لنا الاستاذ المطهري الادلة التالية:

١ ـ ان تاريخ العرب ومكة حال ظهور الاسلام يشهد على عدم تعلّم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لهما قطعاً وذلك لمحدودية القراءة والكتابة في البيئة الحجازية ولم يكن يعرف الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) يومها بذلك ولو كان لبان.

٢ ـ لقد اورد القرآن آيات تدل على عدم معرفة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) القراءة والكتابة هي قوله تعالى ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الامي ...﴾[٣٩] وقوله تعالى ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الامي ...﴾[٤٠] بحيث ان المفسرين الذين اختلفوا في مفهوم كلمة (أُمي) لم يختلفوا في قوله تعالى ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولاتخطه بيمينك اذاً لارتاب المبطلون﴾[٤١] فهي صريحة في ان الرسول لم يكن قبل عصر الرسالة يقرأ أو يكتب، وهذا ما فهمه عموم المفسرين المسلمين.[٤٢]

٣ ـ قوله تعالى ﴿وكذلك أوحينا اليك روحاً من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان ولكن جعلناهُ نوراً نهدي به من نشاء من عبادنا وإنك لتهدي الى صراط مستقيم﴾[٤٣].

اما مسألة كيف يأمر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يعمل هو بما يأمر؟ كيف يطلب من الآخرين تعلم القراءة والكتابة وهو لا يتعلمها؟

يجيبنا الاستاذ مرتضى المطهري بقوله «فهي تماماً مثل التساؤل القائل: كيف لا يعمل الطبيب بالنسخة التي يكتبها لمريضه؟».

نعم اذا مَرِض الطبيب عمل بها بعد أن وجدت نفس الضرورة عنده، بل كان أولى من

غيره بالعمل بها.

ولكن هل يلزمه أن يعمل بما يكتبه لمرضاه حتى لو لم يكن مريضاً مثلهم؟ وهنا يجب ان نلاحظ مدى احساس النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) بالضرورة التي يحسها غيره من حيث القراءة والكتابة لتشكل معرفتهم لها كمالاً، وفقدانهم لها نقصاً.

ان الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كان طليعياً في مجالات العبادة والتضحية والتقوى والصدق وحسن الخلق والشورى والتواضع وسائر الاخلاق والآداب الحسنة لانها كلها تعد كمالاً له، في حين يُعد فقدانها نقصاً، ولكن موضوع القراءة والكتابة ليس من هذا القبيل.

ان قيمة القراءة والكتابة الاساسية لهذه الانسانية تكمن فيما تؤديانه من خدمات اذ توصلان الانسان الى معرفة ما يدور في خلد غيره وتساعدانه على ان ينقل ما يدور في خلده الى الغير، ذلك ان الخطوط رموز وعلامات يتفق عليها البشر لتفهيم أفكارهم ومقاصدهم، والتعرف على الخطوط وسيلة لانتقال المعلومات من فرد الى آخر، وشعب الى آخر، ونسل أو جيل الى آخر، وبهذا يحفظ الانسان معلوماته من الفناء والاندثار والنسيان، وعليه فامتلاك القدرة على القراءة والكتابة، هو بمنزلة معرفة لغة ما، وبالمقدار الذي يتعرف فيه الانسان على لغات اكثر، فإنه يمتلك وسائل اكبر لكسب المعلومات الانسانية.

ومن هنا نعرف ان معرفة اللغة والقراءة والكتابة ليست علماً بالمعنى الواقعي وان كانت تشكل مفتاح العلوم، فالعلم هو ادراك انساني لحقيقة وقانون واقعي وذلك كما ندركه في العلوم الطبيعية والمنطق والرياضيات، حيث يكتشف فيها الانسان روابط واقعية تكوينية وعلّية ومعلولية بين الاشياء الخارجية أو الذهنيّة.

اما معرفة اللغة وقواعدها وامثال ذلك فليست هي بعلم اذ لا تجعلنا ندرك رابطة واقعية بين الاشياء فما هي إلّا سلسلة أُمور وضعية تعاقدية اعتبارية لاتتجاوز الفرض والاتفاق، تشكّل معرفتها مفتاحاً للعلم لا نفس العلم.

نعم ربما تحدث على صعيد هذه الامور الوضعية ظواهر واقعية من قبيل تطور اللغات وتركيبها التي تعبر عن تكامل الافكار وتحدث طبق قانون طبيعي، وبالتالي تكون معرفة

هذه القوانين الطبيعية من الفلسفة والعلم، اذن فقيمة القراءة والكتابة تكمن في ان يمتلك الانسان بيده مفاتيح علوم الآخرين.

ولكن هل ينحصر طريق المعرفة وكسب العلم بهذا السبيل أي سبيل امتلاك الانسان لهذا المفتاح الذي له فتح مغاليق علوم الآخرين والاستفادة من كنوزها؟

وهل على النبي ايضاً ان يستفيد من علوم افراد الانسان؟

ولو كان الامر كذلك فأين نضع النبوغ والابتكار؟ وأين الاشراق والالهام؟

واين التعلم المباشر من الطبيعة؟

إن الحقيقة تقول: ان التعلم عبر القراءة والكتابة هو من أردأ أساليب التعليم لأن الكتابات البشرية تختلط فيها الحقائق بالاوهام، بالاضافة الى أن المتعلم عبر القراءة والكتابة يمتلك حاله تلقٍّ كاملٍ دون أن يتدخل ويتفاعل مع عملية التعلم.

مما ينقل عن ديكارت الفيلسوف الفرنسي انه نشر سلسلة مقالات هامة أدت الى أن يذيع صيته في الآفاق ويعجب الجميع بأحاديثه المجددة. كان احد المعجبين بمقالاته قد ظن ـ كما ظن الآخرون ـ ان ديكارت يجلس على كنز من الكتب النادرة ولديه مكتبة علمية قل نظيرها فيستقي منها وينتهل من عبيرها معلوماته، فذهب الى لقائه وطلب منه أن يطلعه على مكتبته فذهب به ديكارت الى مكان كان قد شرَّح فيه جثّة عجل وأراه ذلك العجل وبادره قائلاً: «هذه مكتبتي لقد استقيت معلوماتي منها».

وقد كان المرحوم السيد جمال الدين الأسدآبادي يقول «إني لأعجب من بعض الاشخاص الذين يقضون عمرهم وهم يقرأون كتب وكتابات أُناس امثالهم على ضوء مصباح، الم يخطر في بالهم يوماً ان يطالعوا المصباح نفسه؟ فهم لو تأملوا المصباح في احدى الليالي واغلقوا الكتاب فسوف يحصلون على معلومات اوفر وأوسع ».

اذن هل يجب ان يستقي الانسان معلوماته من انسان آخر ليكون معلماً له؟ وما هي خصال ذلك المعلم؟ اليس في مقدور الانسان ان يبتكر؟ اليس بقادر على مطالعة كتاب الخلقة والطبيعة في عزلة عن الآخرين؟ ألا يمتلك سبيل الاتصال بالغيب والملكوت فيكون الله تعالى معلّمه وهاديه مباشرة؟

قال تعالى ﴿وما ينطق عن الهوى * ان هو إلّا وحي يُوحى * علّمه شديدُ القُوى﴾ [٤٤] وقال علي عليه السلام: (ولقد قرن الله به (صلى الله عليه وآله وسلم) من لدن ان كان فطيماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره)[٤٥].

يقول الاستاذ المطهري: ان النتيجة النهائية هي انه من خلال حكم التاريخ القطعي وبشهادة القرآن وبحكم القرائن التأريخية الكثيرة نعلم أن لوح ضمير النبي كان مبرّأً من التعليم من بشر، وانه لم يتعلم إلّا في ظل التعليم الالهي، ولم يستق إلّا من الحق سبحانه وتعالى، انه زهرة لم ترعها إلّا يد الواجب سبحانه.

وانه رغم عدم تعامله مع القلم والقرطاس والحبر والقراءة والكتابة رغم ذلك يقسم كتابه المقدس (القرآن الكريم) بالقلم وآثاره كأمر مقدس ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾ ويؤمر بالقراءة في اول رسالة الهية اليه، وعبّر عن صناعة استعمال القلم بأنها أعظم نعمة بعد نعمة الخلق ﴿اقرأ باسم ربك الذى خلق﴾.

وهكذا رأينا ذلك الانسان الذى لم يمسك بقلم قط رأيناه عند دخوله المدينة يبعث نهضة القلم، رأينا ذلك الانسان الذي لم ير معلماً قط ولم يدخل جامعةً ابداً، يعلّم الانسانية وينشئ الجامعات عبر التاريخ.

يقول الامام الرضا (علي بن موسى بن جعفر عليهما السلام) في حواره مع اهل الاديان، يقول لرأس الجالوت: «وكذلك أمر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) وما جاء به كل رسول بعثه الله، ومن آياته أنه كان يتيماً فقيراً راعياً أجيراً لم يتعلم كتاباً ولم يختلف الى معلم، ثم جاء بالقرآن الذي فيه قصص الانبياء (عليهم السلام) وأخبارهم حرفاً حرفاً، واخبار من مضى ومن بقي الى يوم القيامة...)[٤٦]

ان الظاهرة التي أثارت اعجاب الجميع وكشفت أكثر من غيرها عن عظمة القرآن الكريم كونه كتاباً سماوياً حقاً، هي ان هذا الكتاب العظيم بكل معارفه في مجالات المبدأ الاول والمعاد وتصوراته عن الانسان والاخلاق والقانون والقصص والعبر والمواعظ، وبكل جماله وفصاحته، هذا الكتاب جرى على لسان رجل أُميّ لم يدخل ايّ جامعة ولم يقابل أي عالم من علماء العالم ولم يقرأ حتى كتاباً بسيطاً من كتب عصره.

ان الآية والمعجزة التي أجراها الله تعالى على يد آخر أنبيائه هي معجزة كتابية بلاغية حديثية، ترتبط بالفكر، والاحساس والضمير، وقد أثبتت هذه المعجزة وهذا الكتاب قدرته المعنوية الخارقة عبر العصور، فلا يبليه الزمان، لقد جذب الملايين من القلوب، ويجذب كل حين بعد أن كان يموج بالطاقة الحيوية المحركة، فما اكثر العقول التي بعثها على التفكير، وما اكثر القلوب التي أفاضها بالذوق والشوق المعنويين.[٤٧]

شؤون رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

يرى الاستاذ المطهري انطلاقاً من الخصوصيّة التي يتجلى بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في الاسلام، كانت له في زمانه بمقتضى القرآن وبحكم سيرته، شؤون متعددة، أي كانت له عدة أعمال، وهو ينهض بعدد من المواقع والمسؤوليات في وقت واحد، اول موقع من عناوين مسؤوليته (صلى الله عليه وآله وسلم) انه كان نبيّاً مكرماً من قبل الله. وقد نهض عملياً بهذه المسؤولية وتصدى لها، فمعنى كونه نبيّاً، انه كان مبيّناً للاحكام الالهيّة وتعاليم السماء، يقول القرآن الكريم ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٤٨]. وفي مفاد الآية ان ما يبيّنه النبي من احكام ويبلّغه من تعاليم، قد جاء بها من عند الله . أي ان النبي لا يملك في هذا الموقع إلّا ان يكون مبيّناً لما أُوحي اليه . ثم منصب آخر يتصدى له النبي الاكرم هو منصب القضاء، فقد كان قاضياً بين المسلمين، وليس القضاء امراً اعتباطيّاً من وجهة نظر الاسلام بحيث يكون بمقدور ايّ انسان ان يتصدى له ويفصل بين المتخاصمين، انما القضاء في الرؤية الاسلامية هو شأن الهي، لأنه حكم بالعدل، والقاضي هو الذي يفصل ويقضي في الخصومات والاختلافات بالعدل.

وهذا المنصب فُوِّض الى النبي بنص القرآن الكريم ﴿فلا وربّك لا يؤمنون حتى يحكّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً ممّا قضيت ويسلّموا تسليما﴾[٤٩].

اذ كان لرسول الله الحق من عند الله في أن يقضي في اختلافات الناس ويفصل فيها. وهذا المنصب الذي كان للنبي، هو منصب الهي، وليس منصباً عاديّاً، وقد كان النبي قاضياً بالفعل مارس القضاء عملياً.

ثم منصب ثالث كان للنبي فعلاً، وفوّض هو الآخر اليه بنص القرآن، وجرت عليه سيرته العملية ايضاً، وهو موقع الرئاسة العامة.

كان النبي الرئيس وقائد مجتمع المسلمين، وبتعبير آخر كان سائسهم، وقد ذكروا أنّ قوله تعالى ﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾ [٥٠] ناظر لهذه الجهة في مسؤولية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فالآية تدل على انه رئيسكم، وقائد اجتماعكم (المسلمين) فيما امر به.

وعندما نتحدث عن ثلاثة شؤون للنبي، فلا نعني به الجانب الشكلي ـ بمعنى سوق المناصب للنبي من دون اساس ـ بل ان ما وصل عن النبي ـ شخصية وممارسة ـ يشير ضرورة الى ثلاثة ضروب من المسؤولية.

فمن الجهة الاولى يكون كلام النبي وحياً الهياً فحسب. وفي هذا الحال لايكون للنبي اختيار من نفسه قط انما عليه ان يبلغ ما أُمر به من قبل الله، ويكون (النبي) واسطه للابلاغ فقط، مثاله ما أُمر به من تعاليم الدين في كيفية اقامة الصلاة والصوم وغيرهما من الاحكام.

أما ما يقضي به بين الناس، فلا يمكن ان يكون وحياً، عندما يقع الاختلاف ـ مثلاً ـ بين اثنين، يبادر النبي للحكم بينهما، وفق الموازين الاسلامية فيقضي لأحدهما بالحق، وفي هذه الحال لا يهبط جبرئيل الى النبي ليوحي بأن الحق لهذا الطرف أو ذاك، يستثنى من ذلك الحالات التي يتدخل فيها الوحي لخصوصيّة فيها.

القاعدة العامة التي ترمي بظلالها على هذا الصعيد، ان قضاء النبي يتم على اساس الظاهر، تماماً كما يقضى الآخرون، بفارق ان ما يقضي به النبى يأتي على أحسن شكل وأفضله . وقد ذكر الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) بنفسه انه أُمِر أن يحكم على اساس الظواهر بمقتضاها. أي ان يكون في القضيّة مدعٍ ومنكر، فيأتي المدعي بشاهدين عادلين يشهدان على صحة دعواه، ثم يحكم النبي على اساس الادلة الظاهرة، فيكون الحكم في القضيّة معبّراً عن حكم النبي لا عن وحي أُوحي اليه فيها.

اما على مستوى الشأن الثالث، فإن النبي يمارس عمله انطلاقاً من كونه قائداً

للمجتمع، فاذا امر بشيء من هذا الموقع، كان (هذا الامر النبوي) غير الوحي الذي يبلغه عن الله، والله سبحانه هو الذي منحه هذا الموقع في القيادة واوكل اليه هذا الحق.

و لقد دأب النبي في ممارسة صلاحيات هذا الموقع بحكم كونه قائداً، ولهذا كان يشاور اصحابه احياناً عندما نستعرض او نتذكر غزوة بدر واُحد ومواطن اخرى كثيرة، نرى ان النبي الاكرم كان يشاور أصحابه، ولا يمكن التشاور في حكم الله. فهل وجدتم النبي يشاور أصحابه (ولو مرّة) في شأن صلاة المغرب مثلاً؟ بل الاكثر من ذلك اننا نراه اذا حدّثه اصحابه عن مسائل تبرز في هذا الخط ـ التبليغ عن الله ـ يجيب ان الامر ليس اليه، بل هو من عند الله ولا يمكن ان يكون غير ذلك. امّا في المسائل التي ترتبط بقيادة المجتمع وادارته، فقد كان النبي يبادر احياناً لمشورة اصحابه وطلب رأيهم.

ثم يخلص استاذنا ممّا مر الى ان النبي الاكرم اذا أمر في هذه الدائرة ـ قيادة المجتمع ـ بشيء فان ذلك يدخل في نطاق الصلاحيات التي منحها الله ايّاه، واذا رأينا ان الوحي تدخل في قضيّة خاصة من هذا القبيل (تنفيذية وادارية تقع في صلاحيات القيادة) فإنّ لهذا التدخل طابعاً استثنائياً لا يكتب عنوان القاعدة العامة، بحيث يعني ان جميع ما ينهض به النبي في ممارسة تفاصيل عمله التنفيذي ومسؤوليته الادارية كرئيس للمجتمع و قائد له، يصدر عن الوحي، وان الوحي هو الذي امره بفعل هذا و ترك ذاك وبالشكل الذي ينتهي الى ان يكون النبي في هذه الدائرة ايضاً مبلِّغاً للوحي لاغير.

يتبيّن مما مضى ان للنبي الاكرم ـ جزماً ـ هذه الشؤون والعناوين المتعددة جميعاً، وفي وقت واحد.[٥١]

كما يحدثنا الاستاذ المطهري عن شؤون النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) أيضاً [الرسالة ـ القضاء ـ الحكومة] قال تعالى ﴿ما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[٥٢].

اذن توجد ثلاثة شؤون ومقامات مختلفة هي من مختصات الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) فاذا انتقلت للآخرين فإنما يكون ذلك بواسطته، فالنبي الاكرم له في نفس الوقت ثلاثة مقامات مقدسة من الله:

المقام المقدس الاول: هو مقام النبوة او الرسالة وهو مقام ابلاغ الاحكام الالهيّة.

قال تعالى ﴿ما على الرسول إلّا البلاغ المبين﴾ [٥٣].

المقام المقدس الثاني: هو مقام منصب القضاء وهذا المقام ينبغي ان يكون من قبل الله ايضاً وهو القضاء بين الناس، قال تعالى ﴿فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما﴾ [٥٤].

المقام المقدس الثالث: والذي يعيّن من قبل الله ايضاً هو مقام الحكومة، قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم ...﴾ [٥٥].

فالنبي هو الحاكم على الناس وسائسهم، وهو مدير المجتمع وولي أمره اقام الحكومة وقادها، فاذا اعلن عن التعبئة العامة فأمره ينبغي ان يطاع، وبدون شك فإن النبي كان قد أسس الحكومة في السنوات العشر التي قضاها في المدينة وكان حاكماً عليها.[٥٦]

جهاد النفس

كما يرى الاستاذ المطهري انه لايمكن لأحد ان يدخل ساحة الطاعة والانقياد دون الجهاد الاكبر وهو جهاد النفس، في حين ان مواجهة الاعداء والصراع المحتدم عبر العصور والقرون هو دون ذلك بل اسمه الجهاد الاصغر، وهنا تنعقد المقارنة بين الاكبر والاصغر ليس بين الاكبر والكبير أو الاصغر والصغير.

حيث يقول «ان صراع الانسان يمكن أن يكون ذا طابع عقائدي مئة في المئة، وان يكون ذا طابع ايماني، ولكن من اين يبدأ هذا الصراع؟

من داخلك وهذا الامر تجده فقط في تعليمات الانبياء، ولن تجد ذلك في تعليمات غير الانبياء، فقد ارسل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جيشاً لمقاتلة بعض الاعداء الخارجين وعند عودة الجيش منتصراً يذهب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لاستقباله، وهناك خاطب الجيش «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر» وقد تعجب الجميع من قول الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالوا: يا رسول الله، وهل بقي علينا قتال اكبر من ذلك؟ فأوضح الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) ان أمامهم جهاداً أكبر وهو جهاد النفس» [٥٧].

وفي موقع آخر استقبلهم وقال لهم (مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم

الجهاد الاكبر) فقالوا يا رسول الله وما الجهاد الاكبر؟ فقال «هو مجاهدة النفس ومجالدة اهوائها».

وفي هذا الصراع يتغلب العقل احياناً ويُخضع رغبات القلب لارادته واحياناً اُخرى يحصل العكس.[٥٨]

قال تعالى ﴿.. اليومَ يئس الذين كفروا من دينكم فلاتخشوهم واخشون ..﴾[٥٩]، الآية تخاطب المسلمين قائلة: لقد يئس الكفار اليوم من دينكم، أي قد يئسوا من محاربة دينكم، لقد فشل اعداؤكم فشلاً ذريعاً.

ولا يهددكم خطر منهم بعد اليوم ـ ولكنكم اليوم يجب أن تخشوا شيئاً آخر وهو الخشية مني ـ ليس يريد يوماً بعينه بل معناه الآن يئس الكافرون من دينكم كما يقول القائل: اليوم قد كبرت يريد ان الله تعالى حوّل الخوف الذي كان يلحقهم من الكافرين اليوم اليهم، ويئسوا من بطلان الاسلام وجاءكم ماكنتم توعدون به في قوله ﴿ليظهره على الدين كله﴾ والدين اسم لجميع ما تعبّد الله به خلقه وامرهم بالقيام به (واخشون) أي ولكن اخشوني ان خالفتم امري وارتكبتم معصيتي ان اُحل بكم عقابي.[٦٠]

ويطالعنا الاستاذ المطهري قائلاً:

«قال المفسرون في تفسير هذه الآية: ان الخطر الداخلي هو الذي يهددكم اليوم، وليس الخطر الخارجي، أي ان الخطر لم يرتفع كليّاً بل ان العدو الخارجي قد انعدم خطره، ان الخوف من الله الذي ورد في الآية يعني الخوف من قانون الله، الخوف من أن يعاملنا الله بعدله لا بفضله. نقرأ في الدعاء المأثور عن الامام علي (صلى الله عليه وآله وسلم) «يا من لا يُخافُ إلّا عدله».

ومن هنا يقولون: ان الخوف من الله يرجع في النهاية الى الخوف من النفس أي الخوف من جرائم النفس واخطائها.

عندما يقول: ايها المسلمون لاتخشوا العدو الخارجي، وانتم على اعتاب النصر والغلبة على الاعداء، ولكن اخشوا العدو الباطني فان هذا يرتبط من احد الجوانب بذلك الحديث عن النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) المتقدم عندما خاطب المقاتلين العائدين من احدى الغزوات

قائلاً «مرحباً بقوم قضوا الجهاد الاصغر وبقي عليهم الجهاد الاكبر»[٦١].

اسلوب الرسول واخلاقه

لاستاذنا المطهري حديث عن اسلوب رسول الله واخلاقه حيث ينقل لنا حديثاً عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قوله «انا معاشر الانبياء أُمرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم» أي اننا عندما نكلم احداً من الناس ينبغي ان نأخذ بعين الاعتبار مستواه العقلي والفكري، فمن كان ذا عقل أرجح، نكلمه بمستوى أرفع، ومن كان أقل من ذلك مستوى كلمناه بأقل من ذلك، فلا نكلم من كان على مستوى العامة من الناس، بكلام ملكوتي رفيع يدير رأسه، و لا نجيب الحكيم بما نجيب به على سؤال امرأة أُميّة عجوز.

ان الفرق الوحيد الذي يميز كلام الانبياء عن كلام الفلاسفة هو ان مستوى كلام الفلاسفة مستوى معين واحد في كل الاحوال، اذ انهم لا يملكون سوى بضاعة واحدة يعرضونها، كما ان زبائنهم من طبقة معيّنة واحدة، وهذا ينبئ عن عجزهم، اذ أنهم لا يستطيعون بيان مقاصدهم بغير هذه المجموعة من المصطلحات والتعابير الخاصة، وعلى ذلك فلا يفهم لغتهم سوى طبقه معيّنة.

يقال: انه كان قد كُتب على باب مدرسة افلاطون المعروفة ـ وكانت هذه بستاناً تقع خارج مدينة أثينا يطلق عليها اسم (اكاديميا)، وهو الاسم الذي يطلق اليوم على المجامع العلمية ايضاً ـ بيت من الشعر مفاده :

إنَّ من لم يقرأ الهندسة لا مكان له في هذه المدرسة

اما مدرسة الانبياء ففيها مكان لكل انواع التلاميذ الذين يجدون فيها كل انواع البضائع، بضائع رفيعة على افلاطون ان يجلس على مقاعد التلمذة ليستوعبها وبضائع أُخرى تنفع حتى المرأة العجوز.[٦٢]

كما اتحفنا بالنظم والهداية واسباب الوصول الى الحقيقة ؛ قال تعالى ﴿سبح اسم ربك الاعلى * الذي خلق فسوى * والذي قدر فهدى﴾[٦٣].

في هذه الآيات المباركة ورد النظم والهداية والخلق معاً وهذا يعطي كون كل منها دليلاً مستقلاً عن الآخر كما يعلم ذلك من سياق الآيات فهي ثلاثة (سوّى وقدّر وهدى).

او ما جاء عن ابراهيم عليه السلام انه قال ﴿الذي خلقني فهو يهدين﴾ [٦٤].

ومنها قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم * الذي علم بالقلم * علم الانسان ما لم يعلم﴾ [٦٥] والتعليم بالقلم نوع من انواع الهداية للانسان. [٦٦]

ولحسن اسلوبه وخلقه فقد اجتمع الاولياء والاعداء على عظمته؛ يقول المفضل بن عمرو وهو أحد اصحاب الامام الصادق (عليه السلام): «كنت ذات يوم بعد العصر جالساً في الروضة بين القبر والمنبر، وانا مفكر فيما خص الله به سيدنا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) من الشرف والفضائل، ما منحه واعطاه وشرّفه به وحباه مما لا يعرفه الجمهور من الامامة وما جهلوه من فضله وعظيم منزلته وخطر مرتبته فإني كذلك اذ أقبل ابن ابي العوجاء فجلس بحيث اسمع كلامهُ، فلما استقر به المجلس اذا رجل من اصحابه قد جاء فجلس اليه فتكلم ابن ابى العوجاء فقال: لقد بلغ صاحب هذا القبر العز بكماله، وحاز الشرف بجميع خصاله، ونال الحظوة في كل احواله، فقال له صاحبه: انه كان فيلسوفاً ادعى المرتبة العظمى والمنزلة الكبرى واتى على ذلك بمعجزات بهرت العقول، وضلت فيها الاحلام وغاصت الالباب على طلب علمها ... فقال ابن ابي العوجاء: دع ذكر محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فقد تحيّر فيه عقلي، وضلّ في امره فكري، وحدثنا في ذكر الاصل الذي يمشي به، ولا صانع له ولا مدبّر، بل الاشياء تتكون من ذاتها بلا مدبّر، وعلى هذا كانت الدنيا لم تزل ولا تزال».

وهنا يتألم المفضل ألماً شديداً ويواجههم بأعنف قول ثم يلجأ للامام الصادق(عليه السلام) يحدثه بما جرى فيُسكّن الامام خاطره ويعده بتلقينه علوماً وبدائع للصنعة يستطيع معها ان يواجه كلام الملحدين، ثم يبدأ بالقاء احاديث مفصلة في جلسات مطولة فيكتبها مما أوجد لنا كتاب (توحيد المفضل) [٦٧].

بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وكمال الانسان

ما هو الهدف الذي من أجله بعث اللهُ الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بل وحتى الرسل والانبياء؟

يتعرَّض الاستاذ المطهري الى هذا المطلب فيبيّن ان من المُسلَّم به ان هدف بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) والانبياء لاينفصل بحال عن الهدف الحياتي لأولئك الذين بُعث اليهم الانبياء ليرشدوهم، فان الرسول الاعظم او الانبياء جميعاً بعثوا ليقودوا البشرية ويوصلوها الى الهدف النهائي.

ولو تقدمنا مرحلة أُخرى لوصلنا الى بحث آخر حول (الهدف من الخلقة)، ومن خلال البحث عن مسألة (هدف الخلقة) تطرح مسألة خلق الاشياء، ومن جملتها خلق الانسان و الهدف منه. وهنا يجب ان يوضح (هدف الخلقة) ما هو؟ والجواب هو: تارة يراد منه التساؤل عن هدف الخالق من عملية الخلق هذه، أي ما هي الدوافع والعوامل التي دفعته لهذه العملية؟ فنقول هذا التساؤل لا معنى له، ولا يمكن ان يكون لعملية الخلق هنا هدف، أي لا معنى لأن يستهدف الخالق تحقيق شيء من عملية الخلق.

وتارة أُخرى يتركز الحديث عن هدف الخلق لا على غاية الفاعل وهدفه، وانما على هدف الفعل ومعنى غاية الفعل، ان أي فعل نركز عليه لابُد ان يكون باتجاه هدف معيّن ونحو كمال خُلِقَ لأجله، فالفعل خلق ليصل الى هذا الكمال، لا ان الفاعل عمل هذا العمل ليصل هو الى كماله، بل ليصل الفعل الى كماله، أي ان نفس الفعل يسير باتجاه الكمال.

لذا نجد ان مسألة (ما هي الغاية من خلق الانسان؟) ترجع الى التساؤل عن (ماهيّة الانسان)، وما هي الامكانات الكامنة في الوجود الانساني، وما هي الكمالات الممكنة له؟ لذا يجب البحث عن الكمالات التي يمكن للانسان أن يبلغها.

وطبيعي ان بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت كبعثة الانبياء؛ كانت تستهدف تكميل الانسان، ومما يتفق عليه أنهم جاؤوا ليعينوا الانسان، ويأخذوا بيده الى الكمال.

فكون الهدف من بعثة الانبياء هو تكميل الانسان وايصاله الى غاية خلقته بشكل عام، امر لا ينبغي البحث فيه لأن الكل مسلّم به.[٦٨]

ويرى الاستاذ المطهري ان هناك فرقاً بين الكمال والتمام: الكمال يتم في الدرجات والمراحل فالطفل اذا ولد وعضو منه ناقص قلنا انه لم تتم تركيبته عند الولادة، ولكن اذا ولد طفل تام الاعضاء فهو ناقص يجب ان يطوي مراحل التكامل بالتعليم والتربية، فدرجات التعليم والتربية لهذا الطفل هي سلّم التعالي والتكامل.

كما انه يرى ان الشيء المتكون من اجزاء كالجهاز الكهربائي أو السيارة مثلاً، فانه ما لم تتوفر له كل اجزائه سميناه ناقصاً.

ويرى ايضاً ان هناك فرقاً بين التكامل والتقدم، فنحن حينما نتحدث عن مريض نقول عنه ان صحته في تقدم، ولانقول عنه انه في تكامل، وعندما ينطلق جيش للقتال على ارض ما ويحتل ارض العدو نقول عنه: ان الجيش الفلاني يتقدّم ولا نقول عنه انه في حالة تكامل، لماذا؟ لان مفهوم التكامل يتضمن مفهوم التعالي، فالتكامل حركة ولكنها الى الاعلى، حركة عمودية وتكامل من مستوى الى مستوى أعلى، إلّا ان التقدم يصدق على الحركة على مستوى واحد وأُفق واحد تماماً، كما اذا تقدم جيش ما واحتل ارضاً وراح يضم أجزاءً أُخرى الى سلطته وحينئذٍ نقول عنه انه يتقدم بمعنى انه يضم الى سلطته وعلى مستوى واحد أجزاءً اخرى، ولكن لماذا لا نتحدث هنا عن التكامل؟

والجواب هو: لأن التكامل يتضمن التعالي والتسامي، فعندما نتحدث عن التكامل الاجتماعي فان ذلك يتضمن التسامي الانساني (من الناحية الاجتماعية) لا انه مجرد تقدم، وما اكثر ما تكون بعض الحالات تقدماً للانسان وللمجتمع الانساني إلّا أنها لا تعد تكاملاً وتعالياً.[٦٩]

ولو عُدنا الى القرآن الكريم لوجدنا في مواطن كثيرة انه يدعم رسالة الانبياء بكونها رسالة تفاؤل وليست رسالة تشاؤم وان الانبياء عموماً وسيدهم خصوصاً كانوا على درجة عالية من التفاؤل وهي من النقاط الاساسية في التكامل، وذلك لان رسالة هؤلاء جميعاً عليهم السلام هي اصلاح المجتمع الانساني عموماً، فلو كانوا يحملون نظرة متشائمة لما جاؤوا بمناهج اصلاحية، اذ لا يمكن ان تكون نظرة القرآن الى العالم نظرة الهية توحيدية، ثم ترى ان العالم باطل وشر وبلا طائل.

ان القرآن المجيد يرى، كما هو المشهود منه، ان نظام الخليقة نظام خير أي انه مع قوله بوجود الخير والشر في العالم، فإنه يعتقد بانتصار الخير على الشر، والاسلام لا يجيز نظرة غير هذه للعالم.[٧٠]

اذن ما هي مهام الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)؟

كما ان من مهام الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) الاساسية التي هي النبوة والرسالة والقضاء والحكومة فإن له مهام اساسية ايضاً الى جانبها وهي من خلال تلك المهام الثلاث تتجلى وتتجسد وهي فهم التشريع والايمان به وتجسيده عملياً والدفاع عنه حتى القتل والشهادة من اجل بقائه ناصعاً سليماً صحيحاً يصل ارجاء المعمورة وتتعاقبه الاجيال. ويرى الاستاذ المطهري أن إحياء الدين وأصل الدين مهمة من مهمات الانبياء جميعاً منذ آدم (عليه السلام) الى سيدهم وخاتمهم (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولا اختلاف إلّا في الفروع، وكل نبي من الانبياء عندما يأتي فإن أحد الاعمال التي يقوم بها هي تشخيص الاضافات والتحريفات التي طالت رسالة النبي الذي كان قبله.[٧١]

ولا يغيب عنا ان واحدة من المسائل المطروحة (في فلسفة الاخلاق): ما هو معيار الفعل الخلقي؟ فبأي معيار يمكننا قياس افعالنا من وجهة نظر خلقية، فنعتقد بأن هذا الفعل خلقي، وهذا الفعل طبيعي؟

وبتعبير آخر: ما هو الفرق بين الفعل الخلقي والفعل الطبيعي؟

لاشك في ان هناك سلسلة من الافعال التى نأتي بها هي طبيعية، لا يعتمد بأنها خلقية، كجلوسنا على الخوان وتناولنا الطعام، في هذه الصورة لا أحد يقول: اننا نمارس فعلاً خلقياً، ولكن هناك بعض الافعال تعتبر أفعالاً خلقية، كالايثار، فعندما يكون الشخص بحاجة الى شيء ويشعر بأن هناك شخصاً آخر بحاجة اليه أيضاً فانه يقوم بتقديمه على نفسه، هنا يقال: انه قد أتى بفعل خلقي، وقبل ان نذكر معيار الفعل الخلقي، ينبغي توضيح كلمتين من ناحية المفهوم.

كما ان هناك فرقاً بين التربية والاخلاق، مع ان الاخلاق نفسها نوع من التربية وهي بمعنى اكتساب خلق وحالة وعادة. فكيف يفرق الاستاذ المطهري بينهما وما هو الفرق

بين التربية والاخلاق ؟ يرى الاستاذ المطهري ان التربية تشير الى مفهوم التنمية والبناء فقط ومن وجهة نظر التربية لايوجد فرق في كيفية التربية، ولاجل أي هدف هي، أي انه في مفهوم التربية لم تقحم القداسة كي نقول: ان (التربية) معناها تنمية الشخص بنحو يتمكن معه من الحصول على خصائص ترفعه عن مستوى الحيوان، بل ان التربية الروحية تربية ايضاً.

ان الاخلاق مختصة بالانسان، ويكمن فيها نوع من القداسة، ولذا لو أردنا ان نتكلم حسب المصطلح علينا ان نقول:

ان فن الاخلاق وفن التربية ليسا متحدين، بل توجد اثنينيّة بينهما.[٧٢]

الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) اسوة حسنة

قال تعالى ﴿لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة ...﴾[٧٣].

أي لقد كان لكم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قدوة صالحة، أي كان لكم به اقتداء لو اقتديتم به، ورسول الله اسوة وقدوة في كل مناحي الحياة وهو شمّال لامور الدين والدنيا والآخرة.

وقال تعالى ﴿قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾[٧٤].

فكما ان على الناس ان يجعلوا سلوكهم واخلاقهم متطابقة مع سلوك رسول الله واخلاقه وأن يقتدوا به، وهذا دليل قاطع على عصمة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الخطأ والذنب، اذ لو امكن ان يصدر عنه خطأ أو ذنب، لما كان هناك ما يدعو لأن يجعله الله قدوة نقتدي به.[٧٥]

كذلك على الناس اذا ارادوا ان يرضى عنهم الله ـ يحبهم ـ هناك شرط اشترطه سبحانه وتعالى عليهم هو اتباع رسوله وإلّا فإن ادعاءهم فارغ لا قيمة له.

كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وليّ امر المسلمين، وكانت هذه الولاية قد منحت له بأمر من الله تعالى، قال تعالى ﴿اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم﴾[٧٦] بمعنى ان لرسول الله حق القيادة الاجتماعية والسياسية.

هنا يرى المطهري ان المجتمع يحتاج الى قائد، فمن يمسك بيده زمام امور المجتمع،

ويدير شؤون الناس الاجتماعية، ويكون مسلطاً على مقدراتهم، هو ولي امر المسلمين كما كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته.[٧٧]

عبادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

يرى الاستاذ المطهري ان عبادة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بدأت مرحلتها بعد زواجه من خديجة (عليها السلام) واخذت حالة الابتعاد النفسي تتفاقم يوماً بعد يوم؛ فبحلول شهر رمضان كان يهجر مكة بشكل تام ويبتعد عن خديجة مصطحباً معه قليلاً من الماء والطعام متاعاً له، ويختلي في غار حراء، على مدى الشهر، وكانت خديجة تبعث له من يحمل له الماء والطعام.

وبعد بعثته كان (صلى الله عليه وآله وسلم) يقضي وطراً من الليل ـ احياناً نصفه أو ثلثه أو ثلثيه ـ في العبادة بالرغم من انه (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يقضي تمام نهاره في السعي والجد لاسيما في فترة وجوده بالمدينة المنورة.

كان (صلى الله عليه وآله وسلم) كثير الصوم، فبالاضافة الى صيام شهر رمضان وشطراً من شعبان، كان يصوم ما بين اليوم واليوم، وفي العشر الاواخر من شهر رمضان كان يجمع فراشه ويعتكف في المسجد...[٧٨]

ويرى المطهري ايضاً اننا بعودتنا الى الاسلام بعد الاطلاع على سيرة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) ينبغي ان تكون العودة الى القرآن والسنة معاً، وليس الى القرآن فقط، ذلك انه كان يعرف جيداً بأن القرآن يعتبر الرجوع الى السنّة ضرورياً ايضاً.[٧٩]

ويقول استاذنا المطهري ان للتاريخ ثلاثة تعاريف هي:

الاول: العلم بالاحداث والوقائع والاوضاع واحوال البشر الكائنة في زمن سبق زمن سردها.

الثاني: العلم بالقواعد والقوانين والسنن المهيمنة على الحياة الماضية، وهذا العلم يأتي من دراسة وتحليل الاحداث والوقائع الماضية، وتشكل مسائل (التاريخ النقلي) المواد الاولية لهذا العلم، وهي بمثابة المواد التي يدرسها عالم الطبيعيات في المختبر، ويكشف

العلاقات بينها والقوانين المتحكمة فيها.

الثالث: العلم بالتحولات والتطورات التي تنقل المجتمع من مرحلة الى أُخرى، والقوانين المتحكمة في هذه التطورات والتحولات، وبعبارة أُخرى العلم بصيرورة المجتمعات لابكينونة المجتمعات وهذا التعريف يذهب الى فلسفة التاريخ، وعلم التاريخ مفيد بمعانيه الثلاثة، حتى التاريخ النقلي، أي العلم بالاحداث وحياة الاشخاص يستطيع ان يكون نافعاً محرّكاً وبنّاءً او مربّياً وموجهاً، وهذا يرتبط طبعاً بنوع الاشخاص ومن هنا يعرض القرآن الكريم جوانب من حياة افراد يستطيعون ان يكونوا (قدوة) لغيرهم، وكلمة (اسوة) في القرآن الكريم تشير بوضوح الى هدف القرآن من تسليط الاضواء على حياة بعض الشخصيات فيقول حول النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) [لكم في رسول الله اسوة حسنة..] [٨٠] وحول ابراهيم يقول تعالى (قد كانت لكم اسوة حسنة في ابراهيم والذين معه﴾ [٨١].

اذن ينبغي تحويل الاسوة والقدوة الى برنامج عملي للمؤمنين حتى يكون كما قال رسول الله (شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزه استغناؤه عن الناس) [٨٢].

ويرى الاستاذ المطهري ان تتجسد احاديث الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) عملاً ويرى اول خطوة هي ايجاد المجتمع المترابط المتكافل المتضامن، ومن هنا فهي دعوة الى الحياة قال تعالى ﴿يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم﴾ [٨٣].

والمجتمع الاسلامي الواقعي مجتمع حي لان افراده مرتبطون بعضهم بالبعض ارتباطاً عضوياً وثيقاً، ولكن اين المسلمون اليوم من هذا الترابط العضوي، هل العالم الاسلامي ينهض اذا تعرض احد أجزائه الى العدوان. والرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول (من سمع منادياً ينادي يا للمسلمين فلم يجبه فليس بمسلم) [٨٤].

هذا الحديث الشريف يجري مجرى الحديث «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى سائر الجسد بالسهر والحمى»، اذن هناك تأكيد على ظاهرة الترابط العضوي بين المجتمع المسلم الحي. [٨٥]

والنيّة لها دور اساس في العبادة والترابط بل نيّة المرء خير من عمله، كما ورد عن الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في روايات متواتره منها (إنّما الاعمال بالنيات) و(لكل امرئ ما

نوى) و(لا عمل بلا نيّة) و(انما الاعمال بالنيّة وانما لامرئ ما نوى، فمن كانت هجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته الى ما هاجر اليه)[٨٦].

كما ان الرسول الاعظم جسد قولاً وعملاً ان على الناس ان يلتفتوا الى اعمالهم لا الى انسابهم، ففي آخر عمره الشريف خرج ليلة وذهب الى مقبرة البقيع واستغفر للنائمين فيها، ثم قال لأصحابه: ان جبرئيل ليعرض عليّ القرآن في كل سنة مرة، اما هذا العام فقد عرضه عليّ مرتين، واني لاظن ان موتي قد اقترب. وفي اليوم التالي صعد المنبر واعلن أن موته قد اقترب، وكل من وعدته وعداً فليأت لأنجز له الوعد وكل من يطلبني شيئاً فليأت لأُؤدي له دَينه، وواصل حديثه قائلاً:

(ايها الناس انه ليس بين الله وبين احد نسب ولا أمر يؤتيه به خيراً أو يصرف عنه شرّاً إلّا العمل، ألا لا يدّعينَّ مدَّعٍ ولا يتمنّينّ متمنّ، والذي بعثني بالحق لا يُنجي إلّا عمل مع رحمة ولو عصيت لهويت، اللهم قد بلغت).[٨٧]

وصعد الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً جبل الصفا بعد فتح مكة وصاح: «يا اولاد هاشم يا اولاد عبدالمطلب؛ فاجتمع اولاد هاشم واولاد عبدالمطلب ولما اكتمل جمعهم خاطبهم بقوله: اني رسول الله اليكم، اني لشفيق عليكم، لاتقولوا ان محمداً منّا، فوالله ما أوليائي منكم ولا من غيركم إلّا المتقون، فلا أعرفكم تأتوني يوم القيامة تحملون الدنيا على رقابكم ويأتي الناس يحملون الآخرة إلّا واني قد أعذرت فيما بيني وبينكم وفيما بين الله عز وجل وبينكم، وان لي عملي ولكم عملكم»[٨٨].

كما ان الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) اراد للبشرية السعادة والامن والسلام فنراه منذ بدء الدعوة المباركة في مكة وحتى الى السنة الثانية من الهجرة في المدينة، كان يتبع اسلوب السلم والمسالمة مع الاعداء وقد كان يتحمل كل الوان الاذى من مشركي مكة، وكان يرى تبرم المسلمين الذين كانوا يعيشون تحت أشد انواع الاضطهاد، وكان بعضهم يموت تحت التعذيب ولكنه لم يصدر الامر بالجهاد ثم بعد هجرته الى المدينة نجده يعقد مع من ظلمه صلح الحديبية وهو خير شاهد على ذلك، كما وقّع معاهدة مع يهود المدينة.[٨٩]

ونجد الرسول تارة أُخرى يعنىٰ بالنساء ويعتبر الزواج ارتباطاً مقدساً والعزوبة ظاهرة منحطة، وطرح ظاهرة حب النساء بوصفها من خصال الانبياء حتى ورد (من اخلاق الانبياء حب النساء)، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): (احب من دنياكم ثلاثاً: الطيب والنساء وقرّة عيني الصلاة)، ويقول برتراند رسل:

(يمكن العثور على نظرة سلبية للعلاقة الجنسية في سائر الاديان إلّا الاسلام فقد وضع الاسلام قواعد واحكاماً على اساس المصلحة الاجتماعية للعلاقة الجنسية، دون أن يعدّها ظاهرة واطئة).[٩٠]

ويرى استاذنا المطهري أن هناك بوناً شاسعاً بين الزهد والرهبنة فالزهد ليس الانزواء والانعزال عن المجتمع وعدم التملك وانما الزهد ان لا يملكك الشيء.

فالزهد الاسلامي وان كان يستلزم اختيار حياة ساذجة غير متكلف فيها، وانه اساس الإعراض عن التنعم والتجمل بلذائذ الحياة وكمالياتها المادية الاضافية لكنه ـ في نفس الوقت ـ علاقة اجتماعية ورابطة حيوية تنبع من المسؤولية بالتعهدات الاجتماعية في الاسلام، ومن أجل الخروج الصحيح عن عهدة ادائها لوجهها.

اما الرهبنة فهي انقطاع عن الخلق، على اساس التضاد بين عمل الدنيا والآخرة، فإما العبادة ورياضة النفس في الدنيا لاستكمال نعيم الآخرة، وإما الحياة الدنيا للحياة فيها فحسب، وعلى هذا فالرهبنة تستلزم الانقطاع عن الحياة والمجتمع والمسؤولية ـ ايضاً ـ وهذه هي الرهبنة المقيتة التي نهى عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).[٩١]

ونرى الاستاذ المطهري يطرق كل الابواب حتى باب القضاء والقدر عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كما ان علينا ان نفهم جلياً ان تمام العلل والاسباب مظاهر للقضاء والقدر الالهي، فكلما تكثَّرت العلل والاسباب المختلفة والوقائع المتباينة الممكن وقوعها بالنسبة لحادثة ما، تكثرت انواع القضاء والقدر المختلفة بالنسبة لها ايضاً، فما وقع من الاحوال هو بالقضاء والقدر الالهي، وما لم يقع هو بالقضاء والقدر الالهي ايضاً، وسئل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الاحراز المتداولة لاجل الشفاء فاجاب (انها من قدر الله)[٩٢] ويرى المطهري ايضاً ليس صحيحاً بذل الجهد في المسائل العقيمة التي لا نتيجة لها سوى

ارهاق العقل، وفي المسائل التي لا جدوى للانسان فيها ولا طائل تحتها.

فالرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) يستعيذ بالله من علم لا ينفع بينما الاسلام يحث اشد الحث على تلقي العلوم المفيدة المثمرة المجدية.[٩٣]

ويرى الاستاذ المطهري ان روح العبادة يتلخص بما يلي:

١ ـ الشكر لله والثناء عليه بالصفات الخاصة به.

٢ ـ التسبيح والتنزيه لله من كل نقص وعيب من قبيل الفناء والمحدودية وغيرهما.

٣ ـ الشكر لله باعتباره المنشأ الاصلي للخير والنعم.

٤ ـ اظهار التسليم المحض والطاعة الخالصة ازاءه تعالى.

٥ ـ سبحانه وتعالى لا شريك له في أي موضوع من المواضيع الرئيسية فهو وحده الكامل المطلق.[٩٤]

وكل ذلك ان الانسان موجود ينزع الى الحقيقة. يقول الاستاذ المطهري: «فوليد الانسان الجديد منذ الساعة الاولى لحياته يبحث عن ثدي امه...

وبالتدريج عندما ينمو جسم الطفل وذهنه يصل الى حد بحيث يميّز بينه وبين الاشياء وينظر الى الاشياء باعتبارها خارجة عنه ومنفصلة ـ مع العلم بأنّ علاقته بالاشياء هي سلسلة من الافكار وهو يستخدم الفكر باعتباره وسيلة او رابطاً للعلم، وأن واقع الاشياء غير الافكار الموجودة».[٩٥]

اكثر واكثر من هذا نحن نجد ان خطاب الله الى رسوله بأنه شرح له صدره، لا يعني انه وسعه، نحن نقول ان الدار صغيرة، ومساحتها مائة متر مربع ثم نضيف لها مثلها لنوسعها اليس كذلك؟ على كل حال حينما وجد الشرح وجدت السعة ايضاً. ولا يلزم ان يكون الشرح حيث تكون السعة بمثل ما يوسع المرء داره، أو اننا زدنا في سعة هذا الاناء، انما القول يدور على اننا فتحنا هذا الاناء الكبير جداً بعضه عن بعض، فتحنا لك صفحات الروح المتراصة بعضها فوق بعض، ولكن هل في شرح الصدر سعادة للانسان ام لا؟

قال تعالى ﴿فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام﴾.

أي اذا اراد الله ان يهدي امرأً فإنه يفتح صدره للاسلام، لحقائق الاسلام، والآية ﴿الم

نشرح لك صدرك﴾ أي (الم نشـــرح لك صـــدرك للـتوحيد) (الم نشـرح لك صـدرك للاسلام).[٩٦]

الاستاذ المطهري يقول ان الله بعث الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) لكي يرجع الانسان الى انسانيته والآدمي الى آدميته، انسان الاسلام له قصة عجيبة، لم يكن حيواناً مستقيم القامة ويمشي على قدمين ويتكلم فقط ولا يمكن تعريفه بهذه الكلمات.

فقد مدح القرآن الانسان كثيراً كما أنه ذمّهُ كثيراً، قيمة الانسان بخلافته لله على الارض قال تـعالى ﴿واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبّح بحمدك ونقدس لك قال اني اعلم ما لا تعلمون﴾[٩٧].

الانسان موجود مصطفى من قبل الله، وخليفته في الارض، نصفه مـلكوتي ونـصفه الآخر مادي، له فطرة معرفة الله، حر، مستقل، أمين الله، ومسؤول عـن نـفسه والعـالم، مسيطر على الطبيعة والارض والسماء، ملهم بالخير والشر، يبدأ وجـوده مـن الضـعف والعجز، ويسير نحو القوة والكمال ويسمو، ولا يهدأ إلّا في حظيرة القدس الالهي وبذكره، واستيعابه العلمي والعملي غير محدود، يتمتع بشرف وكرامة ذاتية، لاصبغة مادية لدوافعه احياناً، له حق التصرف المشروع بالنعم التي وهبها الله له، ولكن عليه واجباً امام الله.[٩٨]

قال تعالى ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾.[٩٩]

فالله لايعذب امة من الامم ما لم يلق بحجته عليها اولاً، اي ان ربوبيته تأبى غير ذلك التعامل، اي انما نعذب تلك الامة التي تفهم وتدرك ما عُرض عليها، ثم تحجم في نفس الوقت عن العمل بتعاليم تلك الرسالة.[١٠٠]

وفي الختام

بعد أن شارفنا على نهاية هذا البحث لايفوتنا ان نذكر الاستاذ المطهري كيف اجرى على قلمه ذكر الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) في جهاده الرسالي منذ ايام الدعوه المباركة الاولى وإلى رحيله الى الرفيق الاعلى وانه خاض لأقل من عشر سـنين فـي المـدينة

المنورة اكثر من ثمانين غزوة وحملة وسريّة قاد اغلبها بنفسه المقدسة.

ولا يُحسن الحديث عن الجهاد وحالاته المشروعة سوى المجاهد، واذا اراد ان يتكلم عن جهاد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تكلم من القلب الى القلب، وان الحروب التي قادها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ليست اعتداءً على احد ولا سلباً للحريات ولا مصادرة للحقوق، بل العكس انها كانت تحريراً لارادة المستضعفين من بني آدم وتحكيماً للعدالة في ربوع الارض، واجراءً للمساواة في الحقوق والواجبات، والذي يجهل هذا عليه ان يتدبَّر ويطالع قبل ان يصدر الاحكام ويظلم الآخرين حتى يقول استاذنا المطهري «والقرآن يشير بدوره الى هذا الموضوع بل يصرح به حيث يقول: ﴿ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض﴾[١٠١]، وفي مكان آخر يقول ﴿لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله﴾[١٠٢]، لذلك فان جميع دول العالم ترى ان من الواجب عليها امتلاكها لقوة دفاعيّة، ان وجود جيش وظيفته الحد من الاعتداء هو أمر واجب وضروري. الآن تملك دولة ما جيشاً للاعتداء على الآخرين وتملك دولة أُخرى جيشاً للدفاع. لاتقولوا ان الدولة التي تملك جيشاً ولا تعتدي فانها لا تستطيع الاعتداء، ولو كانت قويّة لاعتدت بدورها. انني لا أتحدث عن هذا الموضوع. ان امتلاك كل دولة لجيش هو أمر واجب، ويجب ان تكون قوية الى درجة تستطيع معها الحد من العدوان عليها. ويقول القرآن في هذا المجال ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم﴾[١٠٣]، فاذن هناك قانون للحرب في نص الدين اذا كان هناك اعتداء على ارضنا.. يطمع في اموالنا وثرواتنا .. يطمع في حرياتنا وشخصيتنا ويريد ان يسلبها فماذا يجب ان يقول الدين هنا؟ هل يجب ان يقول ان الحرب سيّئة على الاطلاق ... الكلام سيكون مسخرة، الخصم يحاربنا ويجب ان لا نحارب من اعتدى علينا، واراد ان ينهب اموالنا، ولا ندافع في الواقع عن انفسنا كل ذلك بحجة السلام! هذا ليس سلاماً، هذا استسلام».[١٠٤]

ان اسلوب المطهري أو طريقته ومنهجه الفكري وان كان خاصاً به باعتبار ان لكل كاتب او متحدث أُسلوبه ومنهجه ولكن أستاذنا متأثر جداً بالعلامة محمدحسين

الطباطبائي ـ صاحب الميزان ـ حتى انه يقول «أخذت كل هذه الافكار من العلامة الطباطبائي، اساساً ربما أخذت جذور اكثر الموضوعات في كتبي ومؤلفاتي من العلامة الطباطبائي وليس من الميزان. العلامة الطباطبائي شخصيّة فذّة، كان يتميّز بنسق بيان وأُسلوب خاص، بحيث يأتي على بيان أرفع مسائل المعارف في جمل قصيرة، وبأسلوب يبلغ من السهولة حدّاً لا يوصف».

ثم أردف وهو يتحدث الى صاحب له عن كتابه «المجتمع والتاريخ» [ما ذكرته في المجتمع والتاريخ هي واحدة من تلك النكات العالية التي استمددتها من الميزان].

وفي الحقيقة سعد الطباطبائي انه حظي بتلميذ لامع كالمطهري حمل ميراث استاذه ونشره في عشرات الكتب والمحاضرات على احسن وجه، ومع ذلك غادر هذه الدنيا وهو يقول «ينبغي لنا أن نجلس بعد مئة عام من الآن نتأمّل آثار هذا الرجل [العلامة الطباطبائي] ونحلّلها لكي نلمس القيمة التي تنطوي عليها».

وفي الواقع كان العلامة الطباطبائي مدركاً لهذا البُعد في حياة المطهري حيث قال في وصفه بعد استشهاده: «بالاضافة الى ما يتحلى به من تقوى وانسانيّة وجوانب اخلاقية، كان يتمتع بذكاء وافر، بحيث لم يكن يذهب هدراً أي شيء أقوله، كنت مطمئناً أن شيئاً مما اقوله لن يضيع»[١٠٥].

وفي الختام ان الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) سينتصر لاحقاً بعد ان انتصر سابقاً في جميع مواقفه ومراحل حياته وصراعه مع الاعداء في الحرب وفي السلم، في الحرب الدامية وفي الحرب الباردة، قال تعالى: ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنّهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم، وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم، وليبدلنّهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا..﴾[١٠٦]

اذن في نهاية المطاف سينتصر الحق والعدل والايمان وهو خط الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وبانتصار الحق والعدل تنتصر رسالة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهذا الجناح سينتصر حتماً ـ لأنه وعد من الله سبحانه، والله لايخلف الميعاد ـ على جناح الظلم والتحلل والفساد.[١٠٧]

وثمرة هذا البحث مختصراً اننا اطلعنا على سيرة الرسول الاعظم(ﷺ) بطريقة حيّة صادقة سريعة يمكن جدولتها وتحويلها الى ارض الواقع، والى برنامج عملي يومي حياتي وباسلوب الاستاذ الشهيد مرتضى المطهري الذي خط سيرة الرسول الاعظم(ﷺ) بدمه الزاكي وليس كالآخرين.

مصادر البحث

١ ـ القرآن الكريم.

٢ ـ نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، دار الهجرة.

٣ ـ بحار الانوار، العلامة المجلسي، ج ١٥، طبعة طهران.

٤ ـ مسألة الحجاب، مرتضى المطهري، الدار الاسلامية، بيروت.

٥ ـ التعرف على القرآن، مرتضى المطهري، وزارة الارشاد، طهران.

٦ ـ الوحي والنبوة، مرتضى المطهري، دار الرسول الاكرم، المحجة البيضاء، بيروت.

٧ ـ النبى الامي، الاستاذ مرتضى المطهري، ترجمة محمد علي التسخيري، مؤسسة التبليغ الاسلامي، ايران.

٨ ـ عيون اخبار الرضا ـ أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي، الصدوق، ج ٢، مؤسسة الاعلمي، بيروت.

٩ ـ الامامة، الشهيد مرتضى المطهري، ترجمة جواد علي الكسار، مؤسسة البلاغ، بيروت.

١٠ ـ ان الدين عند الله الاسلام، مرتضى المطهري، منشورات الربيع ط ١؛ ج ١، بيروت.

١١ ـ التكامل الاجتماعي للانسان، مرتضى المطهري، دار الهادي، ط ٤، بيروت.

١٢ ـ محاضرات في الدين والاجتماع، مرتضى المطهري، الدار الاسلامية، ط ١، بيروت.

١٣ ـ مجمع البيان في تفسير القرآن، الشيخ الطبرسي، م ٢، ج ٣، ط ١، طهران، ايران.

١٤ ـ مقالات حول الثورة الاسلامية في ايران، الشهيد المطهري، المجلس التنسيقي للاعلام الاسلامي، ايران.

١٥ ـ التوحيد، مرتضى المطهري، ترجمة ابراهيم الخزرجي، دار المحجّة البيضاء، ط ١، بيروت.

١٦ ـ الدوافع نحو المادية، مرتضى المطهري، ترجمة محمدعلي التسخيري، منظمة الاعلام الاسلامي، طهران.

١٧ ـ الهدف السامي للحياة الانسانية، الشهيد آية الله المطهري، طبعة دار الاضواء، بيروت.
١٨ ـ التكامل الاجتماعي للانسان، مرتضى المطهري، منظمة الاعلام الاسلامي، طهران.
١٩ ـ معرفة القرآن، ج ٢، مرتضى المطهري، ترجمة جعفر صادق الخليلي، منشورات مؤسسة القرآن الكريم، طهران.
٢٠ ـ الاسلام ومتطلبات العصر، مرتضى المطهري، ترجمة علي هاشم، مجمع البحوث الاسلامية، بيروت.
٢١ ـ التربية والتعليم في الاسلام، مرتضى المطهري، ط دار الهادي، بيروت.
٢٢ ـ الولاء والولاية، مرتضى المطهري، ترجمة جعفر الخليلي، مؤسسة البعثة، طهران.
٢٣ ـ طهارة الروح، مرتضى المطهري، دار المحجة البيضاء، ط ١، بيروت.
٢٤ ـ الحركات الاسلامية في القرن الرابع عشر الهجري، مرتضى المطهري، دارالهادي، بيروت.
٢٥ ـ المجتمع والتأريخ، القسم الاول، مرتضى المطهري، تعريب آذرشب، مؤسسة البعثة، طهران.
٢٦ ـ المجتمع والتأريخ، القسم الثاني، مرتضى المطهري، تعريب آذرشب، مؤسسة البعثة طهران.
٢٧ ـ احياء الفكر في الاسلام، مرتضى المطهري، تعريب آذر شب، مؤسسة البعثة، طهران.
٢٨ ـ العدل الالهي، مرتضى المطهري، ترجمة عبدالمنعم الخاقاني، ط ٢، الدار الاسلامية، بيروت.
٢٩ ـ من حياة الائمة الاطهار، مرتضى المطهري، طبعة الدار الاسلامية، بيروت.
٣٠ ـ نظام حقوق المرأة في الاسلام، مرتضى المطهري، ط ٢، الدار الاسلامية، بيروت.
٣١ ـ في رحاب نهج البلاغة، مرتضى المطهري، ط ١، الدار الاسلامية، بيروت.
٣٢ ـ الانسان والقدر ـ مرتضى المطهري، ترجمة محمدعلي التسخيري، منظمة الاعلام

الاسلامي، طهران.
٣٣ ـ الانسان والايمان، مرتضى المطهري، تعريب آذرشب، مؤسسة البعثة، طهران.
٣٤ ـ الرؤية الكونية التوحيدية، مرتضى المطهري، منظمة الاعلام الاسلامي، طهران.
٣٥ ـ النظرة التوحيدية للعالم ٢، مرتضى المطهري، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران.
٣٦ ـ دروس من القرآن، مرتضى المطهري، ترجمة جعفر الخليلي، مؤسسة البعثة، طهران.
٣٧ ـ الانسان في القرآن، مرتضى المطهري ٤، وزارة الارشاد الاسلامي، طهران.
٣٨ ـ الملحمة الحسينية، مرتضى المطهري، ج ٢، المركز العالمي للدراسات الاسلامية، طهران.
٣٩ ـ الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن، مرتضى المطهري، منظمة الاعلام الاسلامي، طهران.
٤٠ ـ المعاد، مرتضى المطهري، ترجمة جواد علي الكسار، مؤسسة الثقلين الثقافية، لبنان.
٤١ ـ نهضة المهدي، مرتضى المطهري، تعريب آذرشب، مؤسسة البعثة، طهران.

الهوامش

١ . سورة القلم ٦٨، الآية ٤ .
٢ . سورة الانبياء ٢١، الآية ١٠٧.
٣ . سورة الحجر ١٥، الآية ٧٦.
٤ . سورة الحجر ١٥، الآية ٩٥.
٥ . سورة النمل ٢٧، الآية ٧٩.
٦ . سورة آل عمران ٣، الآية ١٤٤.
٧ . سورة الاحزاب ٣٣، آية ٤٠.
٨ . سورة محمد ٤٧، الآية ٢ .
٩ . سورة الفتح ٤٨، الآية ٢٩.
١٠ . سورة الصف ٦١، الآية ٦١.
١١ . نهج البلاغة ـ تبويب صبحي الصالح، ص ٣٠٠.
١٢ . بحار الانوار، ج ١٥، العلامة المجلسي، طبعة طهران، ص ٣٦٢.
١٣ . مسألة الحجاب، مرتضى المطهري، ص ٦.
١٤ . التعرف على القرآن، مرتضى المطهري، ص ٤.
١٥ . مسألة الحجاب، الاستاذ المطهري، ص ١٣.
١٦ . التعرف على القرآن، الاستاذ المطهري، ص ٥ ـ ٦.
١٧ . سورة آل عمران ٣، الآية ١٥٩.
١٨ . الوحي والنبوة، الاستاذ المطهري، ص ١٠٥.
١٩ . سورة الانعام ٦، الآية ١٩.
٢٠ . سورة البقرة ٢، الآية ٢٣.
٢١ . سورة الاسراء ١٧، الآية ٨٨.
٢٢ . سورة الانعام ٦، الآية ٣٨.
٢٣ . سورة النحل ١٦، الآية ٨٩.
٢٤ . سورة الاعراف ٧، الآية ١٨٨.
٢٥ . سورة الاسراء ١٧، الآية ٩٣.
٢٦ . سورة الاسراء ١٧، الآيات ٩٠ ـ ٩٣.
٢٧ . سورة الاسراء ١٧، الآية ١.
٢٨ . سورة التحريم ٦٦، الآية ٣.
٢٩ . سورة الاعراف ٧، الآية ١٨٨.

٣٠. سورة العنكبوت ٢٩، الآية ٥٠.
٣١. سورة الانعام ٦، الآية ٥٠.
٣٢. سورة التحريم ٦٦، الآية ٣.
٣٣. الوحي والنبوة، الاستاذ المطهري، ص ٥٢.
٣٤. الوحي والنبوة، الاستاذ المطهري، ص ٥٤.
٣٥. الوحي والنبوة، الاستاذ المطهري، ص ٥٥.
٣٦. سورة البقرة ٢، الآيات ١ ـ ٣.
٣٧. الوحي والنبوة، الاستاذ المطهري، ص ٥٦.
٣٨. النبي الأمي، الاستاذ المطهري، ص ٧.
٣٩. سورة الاعراف ٧، الآية ١٥٧.
٤٠. سورة الاعراف ٧، الآية ١٥٨.
٤١. سورة العنكبوت ٢٩، الآية ٤٨.
٤٢. النبي الامي، الاستاذ المطهري، ص ٣٠.
٤٣. سورة الشورى ٤٢، الآية ٥٢.
٤٤. سورة النجم ٥٣، الآيات ٣ ـ ٥.
٤٥. نهج البلاغة، د. صبحي الصالح، ص ٣٠٠، الخطبة ١٩٠.
٤٦. عيون اخبار الرضا (عليه السلام) ـ ابن بابويه القمي ـ ج ٢ ص ١٥٠.
٤٧. النبي الامي، الاستاذ مرتضى المطهري، ص ٦٢.
٤٨. سورة الحشر ٥٩، الآية ٧.
٤٩. سورة النساء ٤، الآية ٦٥.
٥٠. سورة النساء ٤، الآية ٥٩.
٥١. الامامة، الاستاذ المطهري، ص ٤٣.
٥٢. سورة الحشر ٥٩، الآية ٧.
٥٣. سورة النور ٢٤، الآية ٥٤ وسورة العنكبوت ٢٩، الآية ١٨.
٥٤. سورة النساء ٤، الآية ٦٥.
٥٥. سورة النساء ٤، الآية ٥٩.
٥٦. ان الدين عند الله الاسلام، ج ١، مرتضى المطهري، ص ٥٧ ـ ٥٨.
٥٧. التكامل الاجتماعي للانسان، مرتضى المطهري، ص ١٣٦.
٥٨. محاضرات في الدين والاجتماع، مرتضى المطهري، ص ١٦٣.
٥٩. سورة المائدة ٥، الآية ٣.
٦٠. مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، م ٢، ج ٣، ص ٢٤٥.
٦١. مقالات حول الثورة الاسلامية، مرتضى المطهري، ص ٢٦ ـ ٢٧.

٦٢. محاضرات في الدين والاجتماع، مرتضى المطهري، ص ٣٦٢.
٦٣. سورة الاعلى ٨٧، الآيات ١ ـ ٣.
٦٤. سورة الشعراء ٢٦، الآية ٧٨.
٦٥. سورة القلم ٦٨، الآيات ١ ـ ٥.
٦٦. التوحيد، مرتضى المطهري، ص ١١١ ـ ١١٢.
٦٧. الدوافع نحو المادية، مرتضى المطهري، ص ١٦ نقلاً عن بحار الانوار، ج ٣، الطبعة الجديدة، ص ٥٧ ـ ١٩٦.
٦٨. الهدف السامي، الاستاذ المطهري، ص ١٣ ـ ١٧.
٦٩. التكامل الاجتماعي للانسان، مرتضى المطهري، ص ٢٠ ـ ٢١.
٧٠. معرفة القرآن، مرتضى المطهري، ج ٢، ص ٧٦ ـ ٧٧.
٧١. الاسلام ومتطلبات العصر، مرتضى المطهري، ص ٢٨٧.
٧٢. التربية والتعليم في الاسلام، مرتضى المطهري، ص ٥٧ ـ ٥٨.
٧٣. سورة الاحزاب ٣٣، الآية ٢١.
٧٤. سورة آل عمران ٣، الآية ٣١.
٧٥. الولاء والولاية، مرتضى المطهري، ص ٣٦.
٧٦. سورة النساء ٤، الآية ٥٩.
٧٧. الولاء والولاية، مرتضى المطهري، ص ٤١.
٧٨. طهارة الروح، مرتضى المطهري، ص ١٨٥ ـ ١٨٦.
٧٩. الحركات الاسلامية، مرتضى المطهري، ص ٦١.
٨٠. سورة الاحزاب ٣٣، الآية ٢١.
٨١. سورة الممتحنة ٦٠، الآية ٥، المجتمع والتاريخ، القسم الاول، مرتضى المطهري، ص ٥٢ ـ ٥٨.
٨٢. المجتمع والتاريخ، القسم الثاني، مرتضى المطهري، ص ٣٧.
٨٣. سورة الانفال ٨، الآية ٢٤.
٨٤. اصول الكافي، ج ٣، ص ٢٣٩.
٨٥. احياء الفكر في الاسلام، مرتضى المطهري، ص ٢٥ ـ ٢٦.
٨٦. صحيح مسلم، المجلد السادس، ص ٤٨.
٨٧. شرح بن أبي الحديد، طبعة بيروت، المجلد ٢، ص ٨٦٣.
٨٨. العدل الالهي، مرتضى المطهري، ص ٣٨٦، عن بحار الانوار، م ٢١، ص ١١١.
٨٩. من حياة الأئمة الاطهار، مرتضى المطهري، ص ٥٠ ـ ٥٢.
٩٠. نظام حقوق المرأة في الاسلام، مرتضى المطهري، ص ١١٦.
٩١. في رحاب نهج البلاغة، مرتضى المطهري، ص ١٤٤ ـ ١٤٥.
٩٢. الانسان والقدر، مرتضى المطهري، ص ٥٢.

٩٣. الانسان والايمان، مرتضى المطهري، ص ٦٦.
٩٤. الرؤية الكونية التوحيدية، مرتضى المطهري، ص ٣٦ـ ٣٧.
٩٥. النظرة التوحيدية للعالم، مرتضى المطهري، ص ١٩.
٩٦. دروس من القرآن، مرتضى المطهري، ص ٢٢.
٩٧. سورة البقرة ٢، الآية ٣٠.
٩٨. الانسان في القرآن، مرتضى المطهري، ص ٧ـ ٩.
٩٩. سورة الاسراء ١٧، الآية ١٥.
١٠٠. الملحمة الحسينية، مرتضى المطهري، ج ٢، ص ٤٦.
١٠١. سورة البقرة ٢، الآية ٢٥١.
١٠٢. سورة الحج ٢٢، الآية ٤٠.
١٠٣. سورة الانفال ٨، الآية ٦٠.
١٠٤. الجهاد وحالاته المشروعة في القرآن، مرتضى المطهري، ص ١٢ـ ١٣.
١٠٥. المعاد، مرتضى المطهري، ص ١٦ـ ١٧.
١٠٦. سورة النور ٢٤، الآية ٥٥.
١٠٧. نهضة المهدي في ضوء فلسفة التاريخ، مرتضى المطهري، ص ٥٠ـ ٥٢.